الحِزْبُ المَلْعُونَةُ

الحرب المملوعة

الكاتب: شهاب هاشم

رقم الإيداع: 3430 / 2019

ISBN : 978 - 977 - 798 - 157 - 6

الطبعة الأولى يناير 2019

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

E-mail: dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الوارده في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضروره عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صوره كانت إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..

9 789777 981576

الحزب المملعونة

(2-100)

الكاتب

شهاب هاشم

الحلم
للنشر و التوزيع

وجب التنويه

الفكرة والمحتوى من وحي خيال الكاتب ولكن بعض الأحداث الواردة به هي أحداث واقعية حدثت بالفعل لأشخاص حقيقيين.

معلومات لابد أن تعرفها قبل أن تبدأ في قراءة المحتوى....

تقسم كتب الجن العوالم الخفيّة إلى ثلاث، عالم الجن العلوي الروحاني والعالم السفلي الأسود وعالم الأرض الذي ينقسم بدوره إلى ماء وسحاب ويابسة .

الجن من المخلوقات ولديهم عوالم منفصلة، إذن لا بدّ من قوانين تحكم تلك المجتمعات، إضافة إلى المجتمعات التي ما زالت تحت الحكم الملكي.

والملك صاحب السلطة والقوة والبطش تعاونه مجموعة من الوزراء.

لا يمكن أن نحصي ملوك الجن، فمجتمعات الجن أكبر من مجتمعات البشر التي تكاثرت وتطورت عبر الزمن من دون أن تتأثّر كثيرًا بعوامل الطبيعة والوفاة لكون الجن مشهورين بالحياة الطويلة التي تمتد إلى آلاف السنين للفرد الواحد، ومن أشهر الملوك:

***إبليس**

هو طاووس الملائكة الخارج عن سلطة الرب، رمز الشر العالمي، ويعتبر أبا الشياطين، ابنه الأكبر اسمه ساروخ وله أعوان في كل الأرض ومملكته السفليّة أكبر الممالك.

***الملك الأحمر**

هو الملك الملقّب بـ "الملكابا محرز" الأحمر ويعتبر خآدم يوم الثلاثاء ولبسه وتاجه من اللون الأحمر ويقال إنّه خآدم سورة من القرآن، هي سورة الضحى.

***الملك المذهب**

يلقّب بالملك أبو السعيد عبد الله المذهب، ويحكم 360 قبيلة من الجن، ثيابه وتاجه ولجام وسرج فرسه الأشقر من الذهب الخالص، ورد في الكتب القديمة أنّ الملك المذهب هو من الجن العرب ويسكن في المنطقة الشرقيّة من المملكة العربيّة السعوديّة وباستطاعته تحويل التراب إلى ذهب.

***الملك شمهورش**

شمهورش أو سمهورس، وهو قاضي قضاة الجن.

اعتاد العرب على استخدام اسمه من دون أن يعرفوه، وشمهورش هو من المسلمين المتشدّدين ويرتدي اللون الأخضر ولا يشارك في الحروب لكبر سنّه وهو أيضًا ما يعيق تحضيره، يحضر الملك شمهورش ابنه الوليد لخلافته في عالم القضاة ولديه العديد من الطلّاب الذين يتتلمذون على يده وبحسب الشائع، فإنّه يسكن في بلاد المغرب العربي.

***الملك ميمون أبانوخ**

هو أقوى الملوك الأرضيّة المولع بلبس الأحجار الكريمة ومعروف بقوّته وشراسته في الحروب تاجه اسمه "ويلبس"، هو أقوى من أي مارد أو جن على وجه الأرض، يقال إنّه خآدم يوم السبت وسورة الهمزة في القرآن الكريم وأنّه يعيش في بابل في العراق لارتباطه بروايات الحضارة البابليّة.

*الملك طارش "حارس الكنز"

هو ملك العُمّار أو أفراد الجن الذين يعيشون معنا في المنازل، وهو الملك الموكل بكنوز الأرض ودفائنها، ويحاول أبناء الإنس تحضير الملك طارش لفك الرصد عن كنوز الأرض الذهبيّة.

❁ ❁ ❁

إهداء..

ـ إلى ذلك الشخص الذي واجه العالم الآخر وعاد إلى عالمنا، حامِلا ذكريات يصعب عليك سماعها فما بالك بالذي عاش تفاصيلها! (رفض ذكر اسمه) .

ـ إلى أمي، أنتِ الحياة التي لا أحب أن تَنتهي، أنتِ موطني الأول والأخير .

ـ إلى خطيبتي وحبيبَتي وشريكة حياتي، أحبَبتُ ذاتي لِأنها أحبتَك، وعاهِدتُ حواسي ألا تتُقن نشاطها إلا في حَضرة وجودك، (دُمتِ استثنائية) .

ـ إلى كل من وقفَ بجواري مُشجعًا ومُدعمًا لما أقوم به وما أحلم يومًا أن أُحققه .

ـ إلى أبي الحَبيب، أطال الله في عُمرك وطابت أيامك .

ـ إلى أشقائي الثلاثة، أتمنىَ لَكُم حياة سعيدة مُستقرة، وأتقدم بجزيل الشُكر لدعمكم لي في كل المحطات التي أمر عليها والأهداف التي أتمنى تحقيقها .

ـ إلى كُل من لم يَفقِد إنسانيته .

ـ إلى مَنْ تَعلمَ من أخطاء الآخرين قبل أن يتعلم من أخطائه .

❁ ❁ ❁

رُبما كانت الحادثة الأغرب والأكثر غموضًا من بَين الحوادث والقضايا التي مرت عليه في مسيرته المهنية، أشلاء من الجثث مبعثرة هُنا وهُناك ليس لهم أي ملامح، رائحة الحريق تعوقه من اكتمال جولته التفقدية في المكان الذي يبدو له غير مفهوم، لكنه يصر أن يرى كُل شيء قبل أن يفتح ملف التحقيق في الحادث.

ثلاث ساعات كاملة استغرقها رجال المباحث لتجميع أجزاء الجثث وحصرها، في النهاية العدد قد وصل إلى 98 جثة، كل شيء أصبح رمادًا وكُل الضحايا غير واضحة المعالم، أفواج من سيارات الشرطة والإسعاف ملأت المكان، وكانت الشمس قد اقتربت من الظهور ثم

رحل الجميع وبقى هو شاردًا ينظر إلى البحر ويفكر فيما راَه حتى وجد لوحًا من الخشب يطفو على سطح المياه مُتجهًا إلى حافة الشاطئ الذي يقف عليه، انتظره حتى أتى ونظر إليه، وجد عليه عملية حسابية بحبر أحمر(100 – 2)، لم يحتج سوى دقيقة ليفهم أن هُناك جُثتين تم حملهما بعيدًا عن الـ 98 الذين عُثِرَ عليهم وهذا فرض عليه سؤالًا آخر، وهو لماذا لم تتواجد الجثتان في المكان مع الباقية؟ !

أدركَ أن خيوط هذه القضية لن تتضحِ بسهولة وتحتاج لِجُهد كبير خاصة أن المُتهم يُريد أن يُبعثر دلائل الحادث ويُجبره مُرغمًا أن يبحث في أكثر من زاوية.

* * *

تشابها في كثيرٍ من الأمور، الظروف، الشعور، حتى المرض جمعهما فأصبح لا خيار أو بديل سوى أن يستمرا في العيشِ معًا مدى الحياة، تِلك الحياة التي هاجراها مُنذ أن تقابلا وتحديدًا عِندما جمعهما كأس واحِد وفِراش واحِد، فصار العالم من حَولِهما عديم الفائدة ومُنتهي الوجود،

رُبما لم يَكُن للحب نصيب داخل هذه الغُرفة الصغيرة، لَكِن التعود في أحيان كثيرة يُغني عن الحُب ويُجبر الطرفين على الاستمرار خاصة إن كانوا مثل عُمر ورانيا.

تبادلا أكواب الخمر وارتفع صوتهما في جو ملىء بالجنون والسُكر، كانا مُنعزلان عن الحياة والناس كأنهما في عالم آخر لتنظر "رانيا" من شُرفة الغرفة المظلمة وتتساءل في فضول: "بقالنا كتير هنا ومسألتكش عن المكان اللي هناك ده إيه حكايته؟ ".

ـ ده المكان اللي قامت فيه الحرب زمان .

ضحكت بصوت عالٍ قبل أن تتساءل بسخرية: "والحرب دي مات فيها كام واحد؟".

ـ "اللي ماتوا مش بني آدمين"، قالها "عُمر" وهو يُطفئ سيجارتهُ ليذهب إلى الفراش مرة أخرى ويسترجع بذاكرته حكاية الماضي التي لم ولن ينساها ما دام على قيد الحياة.

ظنت "رانيا" لوهلة أنه لا يمزح ونظرت مرة أخرى إلى ذلك المكان البعيد المهجور منذ زمن لـتُغلق نوافذ الشرفة وتَلحق بـ "عُمر" إلى الفراش وتتعمد تغيير الحديث لسبب لم تفهمه حينها .

أشعلت هي الأخرى سيجارتها ونظرت له نظرة مُطولة، فتبسم قليلًا، ثم سألته عن سبب الابتسامة فأجابها قائلًا: "متوقعتش أبدًا إن هييجي يوم مراتي تنام جنبي على السرير وتشرب سيجارة معايا، غالبًا كده مفيش حاجة توقعتها وطلعت صح ."

ـ "بس أنا مش مراتك، إحنا متجوزناش"، قالتها في حُزن ممزوج بشيء من الاستسلام لواقع شارك الاثنان في صناعتهِ، ليتحدث هو بثقة لا تعلم "رانيا" من أين جاء بها، لَكنه دائمًا ما كان يثق في كل كلمة يتلفظ بها، مغرور رُبما أو مجنون: "في حكم العقل، أنتِ مراتي، وفي حُكم الحياة، أنتِ مراتي، وفي حُكم المُتعة، أنتِ مراتي، ناقصنا العقد بتاع المأذون عشان تعديلي كلمة "مراتي"، تفتكري العقد بيتحكم في المشاعر

أو بيمنعنا من ارتكاب كل الأخطاء الساذجة وإحنا متجوزين، أو حتى بيضمن استمرار الحياة بين الزوجين! العقد ما هو إلا وثيقة لتقنين المشروع، أحيانًا بينكتب العقد دون مشروع ."

سَكتَتْ قليلًا وشرِدَت في كلماته، عَبرت كُل حدود الماضي في لحظة دبت فيها كل كلمة في عقلها وعادت في لحظة أخرى وجدته قد غلبه النعاس فلحقت به وأبت أن تَختم الليلة دونِ قبلة على جبينه قبل أن تَدفن رأسها في صدره.

* * *

عاد "سامح" من جديد إلى ثوبه الأساسي، ثوب أفكاره التي لا تنتهي إلا مع انتهاء كل شيء من حوله، في تِلك المدينة الساحلية البعيدة عن العاصمة يعيش "سامح" منذ أن تسلم عمله في جهاز المباحث واعتاد أخيرًا على المعيشة هُناك بعد أن كان يُعاني كثيرًا في البدايات، وما أصعب البدايات!

فليست كُل البدايات رائعة يا عزيزي!

عُرف عن "سامح" الإتقان الشديد والحدة في العمل وكان عَنيدًا وفضوليًا وطبيعة العمل أحيانًا تُزيد من الفضول، هو لم يَكُن يَعلم أن الانتظار رُبما ينتهي عندما يَنتهي صاحبه وليس عندما يتحقق المُراد !

ـ آلو، أيوه مين؟

ـ أنا سمر .

ـ سمر.. أنا شغال دلوقتي، هخلص وهكلمك.

ـ ما أنت مبتكلمنيش .

قام سامح من مكانه ليُلملم أوراقه ويُرتب أشياءه لِأنه قد انتهى مما كان يفعله، لكنه كان يكذب على "سمر"، كان لا يريدها، وكرر الجُملة مرة أخرى كنوع من اللامبالاة المُصطنعة: "هخلص وأكلمك ."

* * *

لم يَذهب سامح إلى منزله، فقد اعتاد أن يجلس في إحدى الأماكن السياحية المشهورة في المدينة والتي تطل على البحر مُباشرة، وما كان

سامح يجلس إلا وحيدًا، وفي أيام قليلة تجده يَجلس مع أحد أصدقائه في العمل وهو الضابط "غانم الدرديري"، لكن ذلك اليوم كان وحيدًا كأغلب المرات، وطلب سامح الشيشة مع فنجان البن السادة وظل يَنظر إلى البحر فهو لا يُفارق البَحر إطلاقًا لأن مكان العمل قريب من البحر وحتى منزله يَطُل على البحر، وما أجمل أن ترى البحر طيلة أيامك !

ظل شاردًا أمام صورة البحر الماثلة أمامه حتى قطعه صوت إحداهُنْ وهي تُطلق ضحكات تَنم عن أشياء من التي نُحبها نَحنُ الرجال، التفت قليلًا إلى جانبيه فوجد امرأة لا تتعدى الأربعين جالسة بجانب رجل يُدخن السيجار ويضع قدمًا على أخرى وتظهر على هيئته الثراء الفاحش، فتعجب "سامح" لِأنه لم يرَ هذا الرجل من قبل، فقرر أن يسأل أحد العاملين في المكان .

ـ لو سمحت .

جاءه على الفور الجرسون المسؤول عن الصالة التي يجلس فيها .

ـ أيوه يا أفندم، تحت أمرك .

ـ هو مين الراجل ده عشان أنا بشبه يعني عليه؟ تقريبًا شوفته قبل كده.

ـ ده مستر رؤوف أحد مُلاك المكان يا أفندم.

ابتسم "سامح" ابتسامة عريضة وكأنه كان مُتوقعًا هذه الإجابة وعاد من جديد لينتبه إلى الشيشة والبحر، لم تَمُر إلا ثوانٍ وكان "رؤوف" واقفًا بجانب سامح، الأمر الذي تعجب مِنه الأخير ونظر له نظرة بها بعض التكبر مُتسائلًا: "أيوه في حاجة؟."

ابتسم "رؤوف" كعادته قبل أن يُجيب: "أنت أهم ضابط مباحث في قسم المدينة، وأنا أهم مالك سياحي هنا، يعني لازم نتقابل ونبقى أصدقاء."

لم يفهم "سامح" حينها ماذا يُريد هذا الرجل منه: "بس أنا بحب أختار أصدقائي، لما أختارك هقولك."

ابتسم "رؤوف" مرة أخرى قبل أن يغادر سريعًاوهو يقول: "أكيد هنتقابل تاني."

ثُم أشار إلى تِلك المرأة التي كانت تجلس معه ورحلا سويًا ليترك "سامح" وحيدًا لَكن خيوط أفكاره بدأت في التشابك وظل يُحدث ذاته مُتسائلًا عن هوية ذلك الرجل وماذا يُريد، وبقى على هذا الحال حتى أذان الفجر ثُم رحل .

❊ ❊ ❊

يا أهل وادي الملوك، يا عزازيل، إني مُقيم في مملكتكم فكُن لي واليًا حاميًا، أعوذ بالملك الأحمر، وأعوذ بسمسائيل، وأعوذ بسيد وادي العداة وسيد وادي القرنيم، ارجعوا يا جنود المارد الأحمر، أنا خآدمكم المُطيع فنحن رواد العالم السفلي، يا مخلاب الجان السفلي، يا قوم سامر الأزدي عودوا إلى مخالبكم وسيروا في طُرقات قبائلنا.

❁ ❁ ❁

الأحلام لا تبني مُستقبلًا، الأحلام تَرسم والواقع يُلون كما شاءت الظروف، مُتغيرات الزمن تبدل المبادئ فما بالك بالأحلام!

* * *

صغير هذا الفتى لا يتعدى عُمر الإحدى عشر عامًا، صغير وأحلامه كبيرة، ما زال لم يُدرك مُر الواقع، ما زال تائهًا عن الحقيقة، التمس له ألف عُذر فأنت قد تخطيت سنوات النُضج وما زلت من الذين لا يَحميهُم القانون! (المُغفلون).

ـ بابا.. أنا عايز أبقى ضابط وأمسك مسدس كبير وأضرب الأشرار .

نظر الأب نظرة إعجاب ورُسِمت الابتسامة على وجهه :"أنت يا حبيبي هتبقى أحلى وأقوى ضابط في الدنيا ."

أمسك الصغير "آدم" بيد أبيه وقال: "وأنا هبقى ضابط إمتى يا بابا؟ ."

ـ لما تكبر يا حبيبي هتدخل كلية الشرطة وهتبقى ضابط أد الدنيا وهتحمي الناس وبلدك من الأشرار .

ـ أنت ليه مطلعتش ضابط يا بابا؟

صمت قليلًا وعاش لحظة من الحيرة لا يعرف من أين جاءت لَكنه كان يعلم أن السؤال صعب حتى لو من طفل صغير والإجابة طويلة لكنه اقتصرها في كلمات قليلة .

ـ كل واحد يا آدم بيبقى مكتوب له وظيفة تليق به، زي مثلًا ما أنا مينعفش ألبس الجزمة بتاعتك ولا أنت هتعرف تلبس القميص بتاعي عشان مقاساتنا مُختلفة، بس بإذن الله يا حبيبي أنت هتبقى ضابط وربنا هيكون كاتبلك الحاجة اللي تناسبك .

* * *

في ذِكرى يَوم ميلادك، تظُن أنكَ تزداد أمورًا جيدة، وتَظُن أيضًا أنك تَكتسب مهارات عديدة وترى ذاتك تطورت عن العام الذي قَبله ولا تعلم أنت بل ولا أحد يعلم إطلاقًا أننا مثلما نكتسب أشياء نفتقد مُقابلها أشياء أخرى، لا أحد يُدرك أننا عام بعد عام تتغير أحوالنا، تتبدل مفاهيمنا، وتتحول مبادئُنا، كُلَ ما كنت تراهُ لن يتغير قد تغير، وكُل ما

ظننته لن يخذلك، خذلك، إنه الوقت! كُلَ شيء مُباح طالما الوقت يَمضي !

* * *

آدم ما زال صغيرًا لا يفهم إلا القليل، والقَليل أحيانًا لا يَكفي، الفضول يَنمو مُنذ الصِغرِ والأب يأبى كما نأبى جميعًا أن نُخبر أحدًا بما لا يتناسب مع إدراكهِ.

كان "عُمران" رَجُلًا غَنيًا إلى حد كبير، اغتنم الفُرص فأصبح شخصًا مُستقرًا ماديًا وعمليًا، يَمتلك شركة للاستيراد والتصدير بالشراكة مع صديق عمره، ليس لديه أبناء سوى "آدم"، زوجته مُتوفية مُنذ أن ولدت ابنهما، يَغلب على عُمران الغموض والأفعال الغريبة نوعًا ما.

كان آدم صغيرًا لا يَفهم لماذا يَدخُل أبوه باستمرار إلى إحدى الغُرف ليلًا ثُم يَخرج منها صباحًا دونَ أن يَحدُث شيء، لماذا يَستمع إلى أصوات تبدو وكأنها لقطط تَسكُن الغُرفة، لماذا هذه الغُرفة بالتحديد مُغلقة تمامًا وليس مسموحًا لِأحد دخولها إلا أبيه!

تعايش آدم مع الأمر لكنه ظل يُفكر حتى اكتشف أمرًا مُرعبًا، دخوله لتلك الغُرفة كان بمثابة لحظات من الرُعب، إنه رأى صور أشخاص مقتولين وأشخاص جرحى وحيوانات تنزف وأشكال غير مفهومة، الغُرفة حرارتها عالية وكأن أشعة الشمس احتَلتها، وجاء عُمران: "مش قولتلك أنا بس اللي بدخل الأوضة دي، ليه مبتسمعش الكلام؟ ."

ارتبك آدم، كما كان خائفًا، كان خائفًا مما رآه أكثر من أي شيء آخر .

ـ أنا آسف، بس كنت عايز أعرف أنت ليه دايمًا بتدخل هنا وتقعد كتير بعدين تخرج الصبح .

أدرك عُمران أنه أمام مأزق لابُد من الهروب منه لكي يبقى كُل شيء كما هو .

ـ هقولك يا آدم بس مش دلوقتي، أنا بشتغل جوه على اللاب توب بتاعي وبعمل حاجات مهمة وفي أوراق وملفات ناس مهمة جدًا عشان كدة ببقى حريص إن محدش يدخل هنا غيري وبطلب منك إنك

متدخلش هنا تاني وأوعدك يا حبيبي إنك لما تكبر شوية هقولك وساعتها هتفهم كل حاجة .

لم يَهدأ فضول آدم لكن ليس أمامه سِوى الخضوع للأمر الواقع، ليس أمامه سوى الاستمرار في البحث الخفي عن حقيقة السر الذي تأكد من وجوده بعد حديثِ أبيه له .

❊ ❊ ❊

كُلُنا ندفع ثَمن أخطاء لَم نَكُن نراها أخطاء، كُلُنا نُدرك حجم الأخطاء حينما نَدفع الثَمن!

رُبما لو وضعنا في الاعتبار أننا بنو آدمين لما أحد ترك الآخر يُعاني وحيدًا، لَكنا قَبِلنا بأشياء لم نَستطع قبولها لأننا جميعًا نُكابر! ويبقى الخطأ مكفولًا للجميع !

❁ ❁ ❁

ظل "سامح" يَبحث ويبحث عن شيء لا يعرفه، لَكنه يعلم أن هُناك أمرًا ما في القضية، ذلك الشيء المفقود الذي أرهق فضوله وتفكيره، ما هي القصة؟ وما هو السر؟ لماذا كتبت تلك المسألة الحسابية على ورقة وأُلقيت على حافة الشاطئ؟ الواضح في القضية أن هُناك جُثتين غير الـ 98 الذين نُقلوا إلى المشرحة لم يتم العثور عليهما، المكان عليه حراسة مُشددة من رجال المباحث تحسبًا لأي شيء ممكن الحدوث ولأن الجريمة التي حدثت هي الأبشع على الإطلاق من بين كُل الجرائم التي شهدتها المدينة، كان "سامح" يتوخى الحذر ويَحسب كُل خطوة يسيرها، قرر على الفور أن يَذهب إلى ذَلك المكان الذي أصبح مهجورًا أكثر مما كان،

النيران قد أحرقت كُل الأنحاء والزوايا، حتى الجدران أصبحت رماد، الرائحة التي تَصدر ليست رائحة حريق فقط بل هُناك شيء ما يبدو غريبًا، بدأ "سامح" ينظر لآثار الحريق الهائل ويستنشق هذه الرائحة الكريهة على أمل أن يجد ما يُساعده، ظَن أنه من الممكن أن يعثُر على خيط جديد يمسك به زمام القضية، لا يُصدق كم البشاعة التي نتجت عن الحريق، لا يوجد رُكن لم تطله النيران، حتى أنه تذكر يوم أن جاء إلى هُنا أثناء الواقعة، وكأن هذا المكان قد شهد حربًا لا يَعلم عنها أحد !

ـ يا سامح باشا .

فَزع "سامح" قليلًا قبل أن يلتفت إلى الخلف، ليجد "وائل" ضابط المباحث الذي يُساعده في حل لغز القضية .

ـ بدور عليك يا باشا والحمد لله إني لقيتك هنا .

ـ خير يا وائل، في جديد؟

ابتسم "وائل" ابتسامة بها شيء من الثقة ثم قال: "اتفضل معايا يا باشا في حد في مكتب سيادتك لازم تقابله بنفسك ."

ثُم رحلا سويًا .

* * *

جثة رجل شاب لم يتعد الأربعين، عليه علامات تعذيب بشعة وجسده مُتهالك للغاية، أمعاؤهُ تتدلى بصورة مُقززة، خطوط غريبة تظهر على الظهر والوجه، إحدى ساقيه غير موجودة، يبدو أن القاتل ليس من البشر !!

* * *

ـ أنت ليه بتبص عليها من ساعة ما جينا هنا؟

رد آدم ببراءة شديدة: "أصلها حلوة أوي ."

ابتسمَ وأشار إلى ذلك الرجل الذي يجلس بجانبها قائلًا: "باباها موجود، احترم نفسك عشان مياخدش باله وبعدين أنت لسة صغير ."

دفع آدم صديقه في ذراعه غاضبًا: "أنت أكبر مني بسنة مش بعشرة يعنى وبعدين أنت مالك أصلًا، أنا بحبها وممكن أروح أقولها عادي ."

ـ جبان ومش هتعملها .

رد استفز ذلِكَ الولد الصغير لأنه شَعر بالعجز حِيال اعترافه للبنت، شَعر أنها بعيدة وإن كانت لا تَبعد عنه إلا ببضع خطوات .

ـ أيوه جبان، خلاص بقى ملكش دعوة .

* * *

كان صديقًا له مُنذ الصِغر، يلعبان ويَمرحان ويدرسان سويًا، يَذهبان معًا في أي مكان وفي كُل مُناسبة وكان آدم ما زال صغيرًا يَفرحُ بشدة حينما يُقرر أبوه السفر إلى خارج المدينة وقضاء الإجازة الصيفية وهذه المرة الإجازة زادت عن المرات الماضية وآدم سعيد لا يُبالى شيءا، كُل شيء على ما يُرام، عُمران طيلة الوقت مع "جلال" صديق عُمره كما يقول عليه دائمًا، قضى معه كُل شيء فلم يتعجب من صداقة آدم لابن

جلال الذي يَكبره بعام واحد، نزلوا جميعا إلى الشاطئ ليلًا وحرص الولدان على ركوب الدراجات وكان آدم يهوى الانطلاق فانطلق سريعًا بدراجته ولكن هذه المرة أخده الطريق إلى منطقة بعيدة عن مكان أبيه، قاده الطريق إلى ظلام دامس لا يتخلله أي شيء حتى وَجد نفسه أمام مكان يبعد عنه بخطوات قليلة يبدو عليه مُتهالكًا ومُهملًا، بدا مُخيفًا نوعا ما لآدم ولم يعرف إذا كان هذا منزل أو كافيتريا مهجورة أو حتى مَشفى قديم لا يفهم وشَعر بالخوف، ازداد الخوف بعدما لاحظَ رَجُلًا عجوزًا شعره أبيض وعينيه تُطل بريقًا لامعًا بشكل مُلفت، جسده نحيف وقصير القامة، ملامحه مُخيفة، حتى الرائحة التي حضرت كريهة، نظر الرَجُل لآدم نظرة أرعبت الولد فقرر العودة سريعًا إلى أبيه وهو لا يفهم ما الذي حدث، لا يَفهم لماذا كان الرجل العجوز مُبتسمًا له في نظراته وكأنه يُريد أن يَبعث برسالة ما، ظلت تِلك الواقعة عالقة في ذهن آدم، تحرك فضوله وما أدراك بالفضول !

❁ ❁ ❁

الأرواح تتلاقى دائمًا، كُل روح راحلة إلى عالم المَوْتِ ونَحنُ الطريق الواصل بين النور والظلام، في الحقيقة نَحن العالم الآخر وليس هُم، ومن هُم؟ ليسوا أشخاصًا وليسوا بني آدمين فحسب!

هُم الأصليون، المُعَمرون والراحلون في آنٍ واحد، هُم المُتسببون الأخفياء في كُل ما لا نعرف له مُخطئًا.

* * *

ذهب سامح مُسرعًا إلى مكتبه ليرى ما ينتظره وكان رَجُلًا في عُمر ما بعد الأربعين، تظهر عليه ملامح الشيخوخة المُبكرة، جسده مُتهالك وعيناه واسِعتان ويبدو عليه الإرهاق، جلس سامح وأذن له بالحديث قائلًا: "اتفضل حضرتك عايز إيه؟ ."

التفت له الرجل وكانت علامات التوتر تُسيطر عليه: "أنا اسمي مجدي من الصعيد واشتغلت هنا كتير، يمكن أكون قضيت أغلب فترات حياتي هنا في المدينة، كل اللي كانوا مكانك على الكُرسي ده يعرفه عم مجدي كويس، كُنت كمان أحيانًا أساعدهم في القضايا اللي بيمسكوها وبالأخص جرايم القتل ولو مش مصدقني ممكن تسأل، المهم خلينا في اللي جايلك عشانه ."

شَعر سامح أنه يُخبئ شيئًا ما في داخله، شيء ما زال سامح يَبحث عنه، ثم أكمل مجدي حديثه: "أنا اشتغلت حارس أمن على أماكن كتير واشتغلت كمان سواق عند ناس مهمين هنا، زي ما بيقولوا كده صفوة المجتمع، المكان اللي حصلت فيه الحادثة أنا اشتغلت فيه فترة مش كبيرة،

كنت حارس عليه مع إن المكان مفيهوش أي حاجة محتاجة حراسة ولكن صُحاب المكان كان عندهم رأي تاني ."

هُنا سامح قام من مكانه وأمسك في مجدي بشدة وصاح فيه قائلًا: "مين صاحب المكان ده؟ مين دول؟ وليه مظهروش لحد دلوقتي؟ أنت عارفهم ولا جاي بتشتغلني ."

ابتسم مجدي ابتسامة فيها شيء من السُخرية وطلب من سامح الهدوء وتركه يُكمل ما بدأه من الحديث: "لو سمعتني للآخر جايز تفهم حاجة من حاجات كتير بتدور في دماغك ولسة هتدور في دماغك أكتر وعَمك مجدي بيقولك إنه جايز أوى متفهمهاش ولازم تصدقني في كل كلمة بقولها، أنا معرفش صحاب المكان مين ولا حتى منين ولا كنت بشوفهم، كل اللي كان بيربطني بيهم واحد كده مرسال بيجيلي أول كل شهر يديني فلوسي ويتكل على الله وفي خلال تواجدي في المكان ده مكنتش أعرف إيه اللي فيه أو حتى ليه قافلينه وسايبينه كده مهجور مع إنه يعني على البحر وفي موقع هادي خالص مفيش أي حاجة جنبه،

يعني يُعتبر مُنعزل عن العالم، سألت كذا حد من زمايلي اللي شغالين في الأماكن السياحية واللي مش سياحية والكل أجمع إن من ساعة ما وصلوا المدينة والمكان ده زي ما هو كده مهجور، مشفتش حد قالي إنه شافه في أى حالة غير دي، سألت كمان طب إيه ممكن كان يكون نشاطه زمان؟ ما هو أكيد كان له نشاط تجاري، في اللي قالي كان بار واللي قالي كان مركز صحي، واللي قالي كان دار نَشر، أنا حتى لما كنت بدخله أحيانا مكنتش بلاقي فيه أي حاجة تُثبت كلام أي حد من اللي سألتهم، شوية حيطان وممر أوض صغير بس ."

أخذ سامح نَفسًا عميقا واعتدل في جلوسه ثم اقترب من مجدي واضِعًا يديهِ على رأسه وقال: "أنت عارف في كام واحد لقيناه مقتول في المكان ده؟ 98 جُثة مش باقي منهم غير شوية رماد وأجسامهم متشوهة وأعضاؤهم متفرقة في كل حتة، شكيت للحظة إن الموضوع رايح في سكة تجارة أعضاء بس اكتشفت سريعًا إن جميع أعضاء الجثث موجودة بإثبات من الطب الشرعي، طب قولي بقى يا ترى إيه اللي حصل؟! أنت أول حد أقابله له علاقة بالمكان ده لأن كل اللي استُدعوا للشهادة

مكانش ليهم علاقة بالمكان وأنا دلوقتي قدامي واحد كان شغال حارس على مكان الجريمة ومع ذلك لحد دلوقتي مقالش معلومة مُفيدة في القضية .

ابتسم مجدي مرة أخرى وطلب من سامح أن يَستمع لما هُو قادم لعله يَفهم ماذا ينتظره في هذا الطريقُ المُظلم!

* * *

القانون خُلقَ لكي نُفرِق بين الأقوياء والضُعفاء، القانون لا يُحاسب من صنعوه، ولكُل منا دُستوره الخاص، فـهُناك سُلطة ومناصب لا يَعلَمُ عنها أحد، السيادة أن تُجبر غَيرك على الخضوع لقوانينك أنت، الأرواحُ تتلاقى وما نَحنُ إلا وسيلة، وسيلة وحيدة لأهم حقيقة في الوجود.

" عُمران" كان أبشع كابوس من المُمكن أن يأتي في حياتك ولن تستفيق منه إلا ونوبات الموت حاضرة إليك، رُبما استحضرت الآن ذلك السؤال الذي نخشى كثيرًا حين نَنطق به، "ما الذي سيحدثُ بعد الموت وماذا سنرى؟"، لا أحد يستطيع أن يُجيبك سِوى مفاهيمُك وأفكارُكَ،

أفكارك التي تخجل أن تُفصِحُ عنها حتى لا يُنظر إليك تِلك النظرة التي لم تَكُن أبدًا تتمناها، الموتُ رحلة ليس لدَيكَ أي عِلم بما فيها وليس لأحد عِلم بها ولن تُدرك تفاصيلها إلا إذا قررت سَفرها بنفسِكَ، فما رأيُكَ لو تخوضَ التجربة وتقتصر طريقًا طويلًا أنت تعرف خباياه جيدًا، ما رأيك لو تفعل شيئًا مُختلفًا لأول مرة؟ اختصر الطريق وافعل ما هو جديد لك ولغيرك، ما الفائدة أن تَقضي وقتًا معُروف نهايته، لماذا لا تُحْدِث تغييرًا في مسار الروح وتذهب بذاتك إلى ما قد يَكون لكَ أفضل، أليسَ من المُمكن أن تَمُر عليك لحظات أكثر طمأنينة من تلك التي أرهقتك في عالمنا، أتظنُ أن عالمنا هوَ الأوحد؟ !

❁ ❁ ❁

لم يَكُن لدى سامح سوى الاستماع لمجدي لعله يَفهم أي شيء أو رُبما يَقتَرب من حل اللغز، في تِلك الفترة قضى أوقاتهِ أسيرًا لأفكاره العتماء التي لا تُسمن ولا تُغني فالأمر ما زال مُعقدًا بل إنه غير واضح من الأساس .

ـ بص بقى، قبل ما أسيب المكان ده بحوالي أسبوع، جالي الراجل اللي بيقبّضني كل شهر والمرة دي حصلت حاجة غريبة أنا مفهمتهاش وبصراحة يا بيه خفت، وأنا في العادي مش بخاف، بس اللي حصل بقى، في المرة دي كان شايل شنطة سودة وباين عليه مستعجل أوي،

سلمني الظرف وطلب مني أروح أشتري له علبة سجاير عشان ميعرفش المحلات اللي هنا، رحت ورجعت بعد ربع ساعة لقيته جوه والباب مقفول، قلت أسيبه يمكن بيبص على المكان ويطمئن عليه وقعدت على الكرسي بتاعي واستنيته يطلع، لحد ما سمعته بيتكلم مع حد والصوت كان عالي شوية، بس الكلام مفهمتوش، أنا بعرف كام لغة بحكم عيشتي هنا وسط الأجانب لكن اللغة اللي كان بيتكلم بيها الراجل ده مش لغة بني آدمين تقريبًا .

شَعر سامح بالحيرة، حائر ما بين الدلائل المادية الواقعية التي لم تَظهر حتى الآن والألغاز والطُرق الغامِضة التي يُريده مجدى أن يَسلِكُها .

ـ كل اللي بتقوله ده مجرد خيالات وتكهنات ملهاش أي قيمة عند النيابة ولا حتى عندي، أنت بتعقد الموضوع أكتر وبصراحة أنا مش عارف أنت عايز توصلني لإيه !

ـ عايز أوصلك إنك تفهم أد إيه الموضوع ده مش سهل وعايزك تُدرك خطورة ده على شغلك ومُستقبلك، أيوه متستغربش، أنا عارف

بقول إيه كويس، "في حاجات مينفعش تتعمق فيها أكتر من اللازم وفي أمور مش مسموح لك إنك تعرفها وأنت باين عليك عنيد والعند أحيانًا آخرته بتبقى وحشة"، وده جزء من كلام الراجل اللي قاله ليَّ لما سألته إيه اللي كان بيحصل جوه، وبعديها سابني ومشي، أنا بعديها بأسبوع سبت المكان ده، سبته عشان خفت والبني آدم مننا لما بيخاف مبيعرش يكمل في أي حاجة، أنا مخفتش في حياتي أد ما كنت خايف في آخر أسبوع ليَّ، أنا كنت بسمع أصوات وحاجات غريبة بتحصل .

ـ تفتكر مين اللي قتل الـ 98 شخص وحرق المكان واشمعنى قتلهم في المكان ده بالذات؟

ـ اعرف الأول مين هما الـ 98 شخص وبعديها هتعرف القاتل، ولو معرفتوش يبقى صدقني أنت مش لازم تعرفه وقفل قضيتك على كده لأن بعد شوية النيابة هتأيدها ضد مجهول وهيفضل اللغز عندك مستمر .

كانت تِلك المرة الأولى رُبما التي يَشعُر فيها سامح بالخوف، الخوف الذي لم يَكُن يَعرِف له طريقًا وودَعَ مجدي في هدوء وظل يُفكر ويُفكر

حتى قرر الذهاب مرة أخرى إلى ذَلِك المكان وكأن هُناك شيئًا بداخله يُحركه مِثلما يشاء وفي هذه المرة أمسك نوعًا ما بخيطٍ من خيوط القضية.

* * *

المَوت أهَم حقيقة في عالمنا، هو المصير الذي لا يهرب منه أحد، ماذا بعد المصير يا رِفاق؟

هل سنتلاقى، ومتى؟

أتؤمنون بوجود عالم آخر بعد الموت؟

رُبما لو التقينا لفعلنا كل ما لم نفعله في دُنيانا، لتعلمنا من أخطائنا وألقينا ثوب الشر، وارتدينا الخير، ولا أتعجب إذا ارتكبنا أخطاء لم نتمكن من ارتكابها في الدُنيا، ولأننا بشر فقد نُكرر الخطأ أكثر من مرة، لأننا بشر سنُحاسب دائمًا أنفسنا بعد فوات الأوان .

* * *

تُوفي عُمران في ظروف غامِضة لا يعْلم عنها المُقربون له ولعائلته، مات هذا الرجل وترك وراءه سيرة كبيرة مليئة بالكفاح والتغيرات

الحياتية، ترك ثروة ليست بالقليلة لابنه الأوحد "آدم" وكثيرًا ما بكى الولد على فراق والده، آدم ما زال لا يَعرف الكثير عن خبايا أبيه حتى حينما تُوفي لم يَكُن بجانبه ولم يعرف أينَ توفي، فقد جاءه الخبر عن طريق "جلال" الصديق المُقرب من والدِه، وعاش آدم فترة صعبة بعد الوفاة وظل مُقيمًا مع صديق أبيه وابنه الرفيق الدائم لآدم، ومرت سنوات وسنوات إلى أن وصل آدم لعُمر ما بعد العشرين، كان مُقيمًا مع جلال وابنه واستلم عمله في الشركة التي أسسها والده بالشراكة مع جلال، وبدأت أمور حياته تسير على ما يُرام، لكنه في لحظات كثيرة يَشعُر أن هُناك شيئًا ما ينقصه، يَشعر أن الصورة ليست كاملة، آدم لم يَكُن يعرف أي شيء عن والده سوى الذي يريده عُمران أن يعرفه.

انتهى آدم من عملهِ مُتأخرًا مساء يوم الخميس واتصل برفيق عُمره الذي هو الآخر يعمل مع آدم في شركة والدهما وطلب منه أن يسهرا سويًا في الكازينو السياحي المُطل على البحر وخاصة أن اليوم التالي عُطلة ويعني ذلك أن الناس سيترددون على المكان، وكان الرفيقان يُحبان هذا المكان مُزدحمًا لأغراض ليست شريفة .

ـ أنت فين يا صاحبي؟

ـ أنا في البيت كنت باخد شاور وهطلب أكل، تعالى ناكل مع بعض .

ـ لأ أنا رايح مشوار كده في السريع وهروح أغيّر هدومي وهطلع على فرفشة، هستناك هناك نسهر سوا زي كل خميس .

تعالت الضحكات قبل أن يتساءل: "ياعم أنت مش قلت لي إنك بقيت تصلي وهتبدأ تلتزم، إيه اللي اتغير بسرعة كده؟."

ـ يا صاحبى.. دي ملهاش علاقة بدي، أنا سايب الباب مفتوح مش أحسن من اللي مبيصليش خالص!

ضحك مرة أخرى لكن أقل: "ماشي يا عم لقح.. لقح بالكلام، ربنا يهدينا ويهديك، أنا هشرب عصير برتقال بقى عشان خلاص أنا توبت عن البيرة ."

تعالت هذه المرة ضحكات آدم وقال: "وأنا توبت عن النسوان بس حبي للبيرة كبير أنت عارف ."

* * *

تقابلا في مُنتصف الليل كما هو الحال في أيام السهر، جلسا في مكانهما المُفضل وطلب آدم زُجاجة البيرة التي يحبها وطلب الآخر زجاجة أخرى لتبدأ سهرة مُمتعة كما هي العادات، الصخب والضجيج يملآن المكان، العرايا والسكارى كُثر، آدم وصديقه كانا يستمتعان بمُشاهدة الناس في هذه الحالة، مُشاهدة شخص لا يستخدم عقله أو يتحكم في أفعاله شيء، غاية في الإمتاع .

ـ مساء الخير يا بشوات، تحبوا تاكلوا حاجة أو تشربوا حاجة؟

ـ ممكن ازازتين بيرة كمان؟

وصلت البيرة سريعًا ودار الحديث ....

ـ أبويا بيقول لي آدم لازم يتجوز عشان ربنا يهديه أكتر بعد ما بقى بيصلي، وبيقول لي الجواز هيمنعه من ارتكاب ذنوب كتير .

ابتسم آدم بسخرية: "أبوك ميعرفش إن الذنوب ممكن تكتر بعد الجواز، وميعرفش كمان إننا لسة صغيرين على الجواز."

ـ والله عندك حق، لسة بدري ياعم، في حد يسيب الحرية دي ويدخل السجن برجله، أنا بحب الحرية يا آدم ومش متخيل نفسي في حضن واحدة ست بس، كل يوم .

ـ أنا ممكن أتجوز عادي في أي وقت حتى لو في الفترة دي، بس لو لقيت الشخص المُناسب .

تعالت ضحكاته كعادته قبل أن يقول: "آه.. أنت منهم ياض، بتوع الشخص المُناسب والبنت دي محترمة وست بيت والكلام ده، تحس إنك بتشتري شقة على البحر كده وسعرها مش غالي ومساحتها كبيرة ."

ـ لا يا حبيبي، أنا هتجوز في حالة إني ألاقي بنت مش مريضة نفسية .

ـ وهي البنات كلهم مجانين يعني؟

ـ لأ الجنون حاجة والأمراض النفسية حاجة تانية، الغالبية العُظمى من البنات اللي حوالينا مريضات نفسيًا، لما نلاقي بقى البنت السوية ساعتها نبقى نفكر في الجواز يا صاحبي .

ـ طب ما تيجي نشوف البنتين اللي هناك دول يمكن نعرف نعالجهم من مرضهم .

ـ أنا مش طبيب جراح .

ـ خلاص أنا طبيب نفسي، خليك أنت في البيرة، وأنا هشوفهم لو محتاجين حاجة .

* * *

عاد سامح وعاد معه صراع الأفكار، كُلنا مَرضى نفسيين لكننا نأبى أن نَعترِف، نأبى أن نكون ضُعفاء أمام غيرِنا لَكنَنا نَبقى ضُعفاء أمام أنفُسنا وهذا ما اعتدنا عليه، لِماذا كُل هذا العَبثْ يا صديقي، لماذا لا تَعترف بمرضك، لماذا لا تَغْفر لنفْسكَ ما غَفره لك الآخرين، إلى متى ستظَل مُزيفًا؟ لأي طريق ستصل؟ وبأي وسيلة ستُحقق مُرادك؟ سَمِعنا

كثيرًا عن أن الغاية تُبرر الوسيلة، لكننا لم نُدْركْ بعد أن الشَغْف هُو ما يُحرك الوسيلة ويُبررها، الشَغف حين يَنْتهي تَنْتهي معه الغاية وتتجمد الوسيلة وتُزرع بداخلك شجرة الروتين، ورُبما تموت وأنت ما زلت على قيد الحياة !

* * *

الأوضاع كما هي والأمور ما زالت غامِضة، آثار الجريمة البشعة تملأ زوايا المكان وعلامات الدماء والحريق موجودة لم تُمح وفي كُل مرة يأتي سامح إلى هُنا يَشعر وكأن هُناك شيئًا ما جديدًا، هُناك علامات وأروقة في المكان لم يَنتبه لها من قبل، تمهل سامح هذه المرة وتفحص المكان جيدًا لعله يجد شيئًا، شَعُر أنه سيحْصُل على ذلك الشيء الذي لا يعرفه من الأساس، ظل يبْحث حتى شعر أن الجزء الذي يقف عليه غير مُستقر فنظر إلى الأسفل ونزل بجسده حتى وَجَدَ من تحته بلاطًا ليس مُثبتًا فأخرجه من مكانه ثُم عَثر على مجموعة أوراق تبدو أنها مُتهالكة لدرجة كبيرة، أوراق قديمة داخل ملف أسود والكتابة بها ليست واضحة، لكنه رأى في ظهر الملف نفس الجملة التي رآها من قبل على الشاطئ (100 ــ

2)، أخذ سامح الأوراق وقبل أن يرْحل وجدَ إحدى الجدران يَسيل منها دماء بشكل غزير، هُنا شَعر بالخوف، وظل مُصوبًا عيناه ناحية الدماء، اقتربَ مِنها قليلًا فلاحظ أنها تتجمد فظن أنه يتخيل، يتوهم، ثُمَ رحل دون أي ردة فِعلْ، وعاد إلى مكتبه وطلب من وائل الحضور لكي يَعرِض عليه ذَلك الملف ويتناقشا فيه سويًا، وسريعًا ما حَضر وائل ونظر إلى الأوراق وكان بداية حديثه: "الورق ده باين عليه قديم أوي، ده حتى الخط مش ظاهر بصورة واضحة ".

نظَرَ له سامح نظرة تعجُب قبل أن يتساءل: "إحنا إزاي ملقيناش الورق ده وقت مُعاينة المكان؟"!

تعجبَ وائل هو الآخر وتساءل أيضًا: "أنت لقيته إزاي أصلًا؟ "

ـ لقيته تحت الأرض .

ـ أنت حفرت يا باشا؟

ـ لأ .

ـ أمال شوفته إزاي؟

ـ حسيت إني واقف على حاجة مش ثابتة فـبصيت لقيت كذا بلاطة مش ثابتة، شلتهم ولقيت الملف ده، المهم إحنا لازم نبعته حالًا للمُختصين عشان نعرف إيه اللي مَكتوب بالظبط .

ـ تمام يا أفندم .

* * *

أخيرًا جاءهُ الخبر اليقين، أمسكَ بزمام الخيط، أصبح أمامه أسماء وعناوين أشخاص لهم علاقة بذلكَ المكان الملعون الذي شهد الحادث المجهول، الأوراق التي عَثر عليها سامح في ذلك اليوم احتوت على أسماء وعناوين أشخاص عددهم 98 وهو نفس عدد الجُثث التي جمعتها مباحث المدينة والطب الشرعي، بدأ سامح في جمع المعلومات والتحريات اللازمة عن الأشخاص الموجودين في الأوراق، الأمر لم يَكُن سهلًا، كان يريد السرعة في إنجاز هذه التحريات، الأسماء كثيرة، ومُهمة حصد المعلومات ليْسَت سَهلة ويبقى السؤال، لماذا تركَ القاتل

هذه الأوراق وهي بمثابة دليل قوي مِن المُمكن أن يُعرضه للمُحاكمة؟ وانتظر سامح التحريات حتى انتهى رجال المباحث من جَمعها وكانت النتيجة غريبة نوعًا ما لأن الأشخاص الذين دُوِنَت أسماؤهم الغالِبية مِنهم غير مُسجلين في أي من الجهات الرسمية للمدينة وهذا يعني أنهم ليسوا من سكان المدينة أو العاملين بها، والآخرين متوفيين منذ سنوات ولهم شهادات وفاة رسمية، وهذا يطرح سؤالًا آخر، هل هؤلاء الموتى مدفونين في ذلك المكان مُنذ زمن بعيد أم هُناك خلط بين الأمور؟

لم يَكُن لدى سامح أي فكرة سوى أنه يُريد الذهاب لاستجواب أهالي هؤلاء الأشخاص رُبما يحدث المُراد ويقترب من حل اللغز .

ـ سامح بيه.. المعلومات كلها جاهزة تحب نبدأ منين؟

ـ هنبتدي من أهالي الناس اللي المفروض إنهم ميتين من زمان وليهم شهادات وفاة رسمية .

ـ تحب نجهز فريق بحث ونتحرك في أكتر من مكان؟

ـ لأ، أنا هقابلهم كلهم بنفسي .

قالها سامح بحدة قبل أن يُكمل: "القضية هتتحل يعني هتتحل، لو هقضي بقية عمري في حل لغز القضية دي هعمل كده، ومش هزهق لحظة."

ـ تحت أمرك يا أفندم اللي تشوفه .

ـ جهز العربية عشان هنبدأ من بكرة الصبح ومش هنرجع إلا لما نخلص كل حاجة .

ـ تمام يا باشا .

الشغف والفضول وجهان لعُملة واحدة، شغفك يأتي بعد فضولك وكلاهما يَدفعك لأشياء قد تَجعلك لا تعيش حياتك كما كُنت من قبل، الأبواب المُغلقة غُلقت لأن ما ورائِها سيؤذينا فلا تحاول فتحها وإذا أردت فعليك بهدمها وتحمل نتيجة اقتحامك في عالم ليس مُخصصًا لك أو لغيرك، أنت الجاني على نفسك ولم تَكُن مَجنيًا عليه سوى في خيالك المريض الذي تسبب فيه فضولك وأصابه شغفك القاتل.

* * *

سالم العربي، صحفي بقسم الحوادث، يعمل في إحدى المؤسسات الصحفية المرموقة، ذكي ومُجتهد وطموح وفضولي لأبعد حد، يرى دائمًا أن عليه فعل كُل ما هو جديد لم يفعله أحد من قبله، رُبما فهم العالم من حوله فـأراد أن يعرف عالمًا آخر، عالم مُظلم لا يفهمه سوى سُكانه، السكان الأصليون والمُهاجرون من دُنيانا، أراد أن يتعرف على المُعمرين ويتقرب منهم ومن أهوائِهم، كان مهووسًا بالأماكن القديمة والقصص والأساطير التي لا نعلم حقيقتها، لم يترك قصة أو أسطورة من أساطير الزمان إلا وبحث فيها بل وكتب عنها، اشتهر بالمعرفة والسعي وراء حل الألغاز، اقترب كثيرًا من الموضوعات الشائكة التي يَراها بعض الناس مُرعبة، اهتم بقضايا السحر وتحضير الأرواح والجن ووصل به الحال إلى أنه أصبح يعرف حقيقة الأماكن قبل دخولها، وكأن زُرعت بداخله حاسة تُمكنه من الشعور بالأشياء قبل أن تحدث .

* * *

سافر سالم في إجازة قصيرة إلى مُحافظة دُمياط وأقام في مدينة رأس البر برفقة أصدقائه في نهاية الصيف وكان أحدهم يمتلك فيلا في إحدى

المناطق الراقية هُناك، وتشتهر المدينة بالهدوء والسكينة في أغلب فترات العام فيما عدا بدايات فصل الصيف، وكثير من الأماكن خالية من السكان ومتروكة منذ زمن، وكانت الفيلا التي يُقيمُ فيها سالم متواجدة وسط بيوت كبيرة وراقية لكنها مهجورة، وفي كُل ليلة تحديدًا عند مُنتصف الليل يبدأ فضول سالم في الظهور وتبدو الأجواء خارج الفيلا هادئة وخالية إلى الحد الذي يُرعبك بعض الشيء، لاحظ أن الفيلا التي بجوارهم غريبة ومنظرها في الليل مُريب ومُثير للفضول فسأل صديقه عن هذا المكان .

ـ هي الفيلا اللي جنبينا دي في ناس ساكنة فيها؟

ابتسم وقال: "آه في ناس، بتسأل ليه؟ ."

ـ أصل منظرها غريب شوية، كنت فاكر إنها مهجورة .

ـ هي فعلًا مهجورة من زمان .

نظر سالم بتعجب: "أمال إزاي بتقول لي ساكن فيها ناس؟ .!"

ـ يا سالم ما أنا لو قلت لك إن ساكنها ناس بس مش زينا هتفهم ودماغك هتشتغل ويمكن تعمل تحقيق وتضيع الكام يوم عـلى الفاضي .

هُنا بالفعل تحرك فضول سالم أكثر وأكثر وفهم أن ذلكَ المكان وراؤه قصة من القصص التي يُفضل معرفتها وقراءتها إن أمكن .

* * *

بدأ سامح رحلته في الكشف عن الحقيقة وشد الرحال إلى مدينة بنها بصُحبة الضابط "وائل"؛ ليُقابلا عائلة بخيت القليوبي الذي عُثر على اسمه وعنوانهِ في الأوراق التي كانت تحت أنقاض المكان الملعون، وصل سامح إلى المنطقة التي تسكن بها عائلة بخيت في تمام الواحدة ظُهرًا والأجواء هُناك مليئة بالزخم والصخب، الناس كثيرون والمحلات التجارية أكثر والأصوات تتداخل في وقت واحد، أخذ وقتًا كبيرًا حتى استطاع أن يضع سيارته في مكان آمن وصعد إلى منزل المُتوفى أو القتيل، لا يعلم، طرق جرس الباب وفتح له رجُل كبير في السن يرتكز على عُكاز قديم ويرتدي جلبابًا أبيض .

ـ أيوه اتفضل .

أراد أن يُفاجئه سامح فقال: "مباحث ."

ارتبكَ الرجل بشدة وظهرت عليه علامات الخوف .

ـ خير في إيه؟

دخل سامح دون أي مُقدمات وجلس وانتظر الرجل حتى أتى ثم سأله: "ابنك بخيت مات إزاي؟."

ارتبك الرجل مرة ثانية وأجاب: "مات في حادثة عربية من خمس سنين، بس أنت بتسأل ليه؟."

ـ لقينا اسم ابنك في ورقة موجودة داخل مكان محروق ميت فيه 97 جثة .

هُنا شعر الرجل بالخوف وارتفع صوته قليلًا: "يا بيه أنا ابني مدفون في مقابر البستان اللي جنبي هنا، أنت جاي بتقول إيه؟."

لاحظ سامح أن هُناك أحدًا خلف الستار الذي أمامه يُحاول أن يستمع لما يدور فقام فجأة من مكانه وذهب مُسرعًا ليمْسِك به ففزع ذلك الرجل المدعو: "عمار ."

ـ مش في ضيوف والمفروض تضايفهم بدل ما تتصنت عليهم زي الحريم؟ !

تسارعت نبضات عمار وظهر كأنه يُخبئ شيئًا منذ زمن لم يفصح عنه لأي شخص، شعر بالخوف الممزوج بالقلق قبل أن يقول: "أنت مين وعايز إيه؟ ."

ـ عايزك تيجي تقعد معانا .

جلس عمار معهم وسأله سامح عن بخيت: "أنت تقرب لبخيت؟ ."

ـ أنا خال بخيت الله يرحمه.

ـ هو مات إزاي؟

ـ ما هو أبو بخيت قالك في حادثة عربية .

ـ طب تفسر بإيه بقى اللي أنا قلته من شوية لعمك أبو بخيت؟

ـ معرفش يا باشا ومعرفش أنت جاي ليه تسأل على واحد ميت من خمس سنين، ليه جاي تقلب المواجع علينا؟ !

شعر سامح أنه يُريد ذهاب الحديث في مُنطلق آخر لكي يتستر على شيء ما لا يعلمه .

ـ ليه كنت خايف ومش عايز تيجي تقعد معانا أول ما عرفت إننا مباحث؟

ـ يا بيه أنا مش عايز قلق، خصوصًا إن ليَّ سابقة ومش حابب أدخل في أي مشاكل تاني .

هُنا صاح والد بخيت وبدأ صوته في العلو: "يا أستاذ أنت وهو لو عندكم أي حاجة قولوها، إنما وجودكم ده ملهوش لازمة واتفضلوا بقى عشان إحنا ناس غلابة ومش عايزين مشاكل ولا حكومة تجيلنا، أنا معرفش بصراحة سبب وجودكم هنا بس مش عايز أعرف، كفاية لحد كده ."

ـ ابنك مدفون فين يا عم الحاج؟

ـ في مدافن البستان بعدينا هنا بشارعين .

ـ "بص يا حاج، لو اكتشفت إن ابنك مش مدفون هناك هحبسك أنت والراجل اللي معاك"، قالها سامح ثم رحل غاضبًا، وأشار لزميله إلى أنه يشعر بكذب وتزييف كبير من هذين الرجلين خاصة عمار، وقرر سامح أن يذهب بنفسه إلى هذه المقابر، فسأله وائل كيف سيتأكد؟ فسكت سامح وركب سيارته وطلب منه أن يمضي معه واليقين سيأتي هُناك .

وصل سريعًا إلى المدافن وكانت الساعة قد تخطت الثالثة ظُهرًا والأجواء هُناك هادئة نوعًا ما، نزل من السيارة وظل ينظر قليلًا إلى المقابر من حوله، حتى جاءه رجل يرتدي جلبابًا أزرق ويحمل في يديه سِبحة .

ـ خير يا باشا، عايز حد؟

ـ مباحث يا عمنا.

ابتسم الرجل وتبدو عليه الثقة، نظر وأشار إلى المكان من حوله باستنكار بَيِّن قائلًا: "والمباحث جاية تعمل إيه في مكان كله ميتين وحتى الناس اللي عايشة بردو يعتبروا ميتين، إيه.. جاي تقبض على حد عايش ولا ميت؟ ."

ـ جاي أتأكد من موت حد .

لاحظ الرجل ويُدعى محروس أن هُناك أمرًا ما سيفهمه خلال لحظات، تبدلت ملامح وجهه وطلب من سامح وزميله الجلوس في منزله الذي يقفون أمامه .

كان محروس شخصية عجيبة بكل المقاييس، أصلع الرأس ولحيته كثيفة، قوي البنيان، أبيض البشرة، نشأ في أسرة مُتوسطة الحال واستمر طيلة حياته مُقيمًا بين الأموات في المقابر التي كان يعمل بها والده وجدوده، عرفه المُتسولون والمشايخ والدجالون الذي يترددون على المكان من وقت لآخر، فأصبح أكثر الناس شُهرة ومكانة وسط المنطقة أو بمعنى أدق وسط الأموات .

سأله سامح بوضوح دون الخوض في تفاصيل رتيبة لن تُجدي نفعًا: "في حد ميت من أهل القرية اسمه بخيت عبد الحميد وشهرته "بخيت القليوبي"؟ ."

نظر له محروس نظرة عميقة قبل أن يقول: "أيوه يا باشا، مات من كذا سنة في حادثة وهو جاي على البلد ."

ـ هو مدفون هنا؟

ـ آه، في ترب عيلة الربيع بعدينا بكام خطوة، بس حضرتك بتسأل ليه؟

ـ لأ دي حكاية طويلة، هقول لك لما نتأكد .

ـ نتأكد من إيه؟

ـ إذا كان ميت هنا ولّا في حتة تانية .

خاف محروس وهو نادرًا ما يشعر بالخوف .

ـ أيوه يا باشا بس ده مش صح .

ـ يا حبيبي بقول لك مباحث وأنا مش عايز أعمل لك قلق وأجيب لك إذن نيابة والدنيا كلها تعرف وأنت فاهم اللي فيها، كل اللي عليك إنك هتيجي معانا هتفتح المقبرة وهتتأكد إذا كانت في جثة ولا لأ، الموضوع مش صعب عليك .

ـ يا بيه الموضوع خطر، أنا كده هتعدى على حرمة ميت، حراس المكان ممكن يأذوني.

ـ أنت أكيد مش أول مرة تعمل كده .

ـ مش أول مرة، بس مش عايز أمشي شمال تاني يا بيه .

ـ دي مش شمال، بالعكس أنت هتقدم خدمة للعدالة وهتخلينا نجيب حق ناس كتير اتقتلت .

ـ أنا مش فاهم الحكاية بس هاجي معاكم، أنتم الحكومة بردو، بس هنستنى ساعة هنا مع بعض لحد ما الليل يليل ونطلع .

* * *

"بحق ملوكنا الأخفياء عن الأعين والدنيا الجهورة، بحق كُل نفس راحلة إلى العالم الأسود والذين دُفنت أرواحهم عبثًا في قلوبكم فقط، بحق الحاكم والوالي راعي غير البشر، مالك أرواح المُعمرين القدامى، أنا الماضي اللعين، أنا السائد في دُنيا البشر المُظلمة، يا حاكم الجان الأعظم أنا الآن بين جنودك المُخلصين فاسمح لي بدخول عالمكم الأبدي الذي لا نهاية له فأنا ما زلت لا حول لي ولا قُوة"، كلمات سمعها سامح فور وصوله إلى المقبرة فارتجف قلبه ووقف مكانه مُتسمرًا يلتفت يمينًا ويسارًا لَكِنه لا يجد سوى رُفقاء هذه الرحلة القصيرة، محروس التربي والضابط وائل فصاح مُتلجلجًا: "أنتم سامعين اللي أنا سامعه ده؟".

أشار سامح إلى المكان الذي يصدر مِنه الصوت وهو بجوار المقبرة فما كان على محروس إلا إلقاء الابتسامة التي تبدو غريبة نوعًا ما في لحظة مِثل هذه لكنها تَدُل على أن هذا الرجل يعرف مصدر الصوت فحاول أن يبث الطمأنينة في قلوبهم: "ماتخافوش يا بشوات بلدنا، ده صُبحي

شعوذة، كل كام يوم كده بالليل بييجي يقعد في الخن اللي جنبي ده ويفضل يردد كلام غريب، اللهم احفظنا يعني.. الناس بيقولوا إنه ممسوس ."

نسى سامح قليلًا ما جاء من أجله وتشابكت خيوط أفكاره في لحظة عابرة لم تَكن لها حُسبان لتنتج سؤالًا تلو الآخر: "اشمعنى المكان ده يا محروس؟ ."

شعر محروس بسعادة بالغة لأنه رأى نفسه مُفيدًا لغيره حتى ولو للحظة وحتى ولو في موضوع أقل من أن يُحكى، لكنه كان دائمًا يُحب الأحاديث مع الناس ويُحب أن يراه الناس عالمًا ومُدبرًا ومُجيبًا لكُل الخبايا والأسرار، هو قضى حياته بين أنقاض الأسرار والحكايات فنشأ على قصص الجن والعفاريت كما يقولون، وتعامل مع المُشعوذين والممسوسين، وكثيرًا ما كان يجد السحرة يترددون على المقابر ليلًا ليُنجزوا مهامًا تُطلب منهم لكنه لم يكُن يتعرض لهم إطلاقًا ابتعادًا عن شرِهم الأسود، تشجع محروس أن يُجيب سامح على سؤاله: "عشان

المكان ده في ريحة الناس اللي هو عايزهم، يعني هو ممسوس من زمان لأنه حاول يسخر جن ولكنه فشل أكتر من مرة ووصل بيه الحال لكده ولسة بيحاول في كل مرة وبيكلمهم بنية إنه عايز يبقى معاهم ومن رجالتهم."

إجابات محروس حركت فضول سامح أكثر لكنه اكتفى بهذا القدر وعاد مرة أخرى للشيء الذي أتى من أجله، فتح محروس بابًا حديديًا ليس كبيرًا ويبدو عليهِ آثار الإهمال فرُبما لم يأت أحد إلى المُتوفى مُنذ زَمن بعيد، دخلوا الثلاثة إلى تِلكَ الساحة العتمة التي يتوسطها قبر صغير عليه لافتة بارزة مكتوبة بخطٍ عريض ــ ادعوا له بالرحمة والمغفرة ــ، جلس سامح ووائل على حصيرة بسيطة وأراحا ظهرهما على الجدار من خلفهما مُنتظرين ما هُو قادم، وأعد محروس العُدة وبدأ في عملية الحفر والتنقيب عن الجثة واستمر قُرابة الساعة ونصف حتى وجَدُها، جُثة هامِدة مُستلقاة على الأرض لكنها ما تزال تحتفظ بملامح الوجه والجسد وهذا ما تعجب منهِ محروس: "غريبة دي، أول مرة أشوف كده، سبحان الله!"، قالها محروس بنبرة ساخرة قبل أن يبدأ سامح في النظر إلى الجثة .

ـ مش قلت لك يا وائل في حاجة غلط، إزاي اسم الراجل ده في الورق وهو أصلا مدفون هنا، أمال الـ 98 جثة اللي اتحرقوا هناك دول يبقوا مين؟

قاطعهم محروس بعفوية ليبلغهم أن هذا الرجل رُبما تُوفي منذ ثلاثة أيام أو أسبوع على الأرجح لينفجر سامح غضبًا: "يا عم وائل الحادثة حصلت من أسبوعين بالظبط زي النهاردة من أسبوعين والراجل بيقول لك ميت من أسبوع، يعني مات مرتين ولا إيه .!"

هُنا تحدث وائل بعد صمت طويل: "يا باشا جايز جدًا يكون اللي نفذ الجريمة عايز يشتتنا ويودينا في سكك تانية بعيدة عن الحقيقة، وممكن كمان الجثة اللي قدامنا دي مش هي جثة بخيت ."

مال سامح برأسه يمينًا ويسارًا في إشارة إلى اليأس الشديد: "لو روحنا جبنا أبوه هيقولك أيوه ده ابني ."

قاطعهم محروس بعفوية مرة أخرى: "طب ما هو فعلًا هو ده بخيت ."

ابتسم سامح بسخرية مُصطنعة: "جدع يا محروس، مُتشكرين ."

غادر سامح بصُحبة وائل لكنه يشعر بشيء ما يسري في ذهنه، إنه ذلك الصوت الذي سمعه مُنذ قليل في المقابر، صوت هذا الرجل الممسوس، لماذا ما يزال يسمعه حتى بعد أن ابتعد عن المكان بسيارتِه، قرر في لحظة أن يلتفت خارج زُجاج السيارة وينظر خلفه فوجد الرجل يسير بجانب السيارة وينظر لسامح بغضب شديد، فارتبك سامح وفزع ثُم أوقف السيارة فجأة، الأمر الذي أفزع وائل هو الآخر ليسأله ماذا حدث!

لم يَكُن سامح يُريد أن يُشعر وائل بالخوف أو رُبما يأبى أن يشعر أحد بخوفه، لا أعلم، لكنه لم يستطع إخفاء الأمر، أراد أن يتخلص من تِلك اللحظة المُفزعة على أي حال: "الراجل اللي كان بيتكلم بصوت عالي جنب التربة اللي كنا فيها، شوفته ماشي جنب العربية وبيقول نفس الكلام ."

نظر له وائل باستغراب: "طب وهو فين؟ ."

ـ معرفش !

لا يعرف وائل لماذا أراد أن يُغير الموضوع بأي طريقة، فأخذه في الموضوع الأساسي وسأله عن القادم في رحلتهم لحل اللغز: "هو أنت المفروض هتعمل إيه تاني، ناوي تكمل بنفسك؟ ".

ـ أعتقد بعد اللي شوفته النهاردة لأ .

هزَ وائل رأسه قليلًا ورُسمت على ملامحه علامات الرضا: "يعني القضية هتتقفل؟ ".

سكت سامح ثوانٍ قليلة ثم قال: "لأ ".

* * *

شهق شهقة كبيرة وهو يحاول أن يُحرك يده من على اللوحة التي يتحسسها، إذن هُو داخل غُرفة مُظلمة تسكنها رائحة كريهة ورُبما تَسكنها أشياء أخرى، الظلام يُحيط بالمنزل من جميع الجوانب، بالطبع لا

يُريد سالم أن يسير خلف الظلام ولكن صدقني لن تريد رؤية تلك الأشياء التي يُحيط بها الظلام، هُناك صوت خطوات ثقيلة تتحرك باتجاه المنضدة التي أمام سالم في الغُرفة، يد ما تمسك بشمعة مُشتعلة تظهر على ضوئها الكثير والكثير من الأشياء المُرعبة، رسومات غريبة على الجُدران وصور لأشخاص ملامحهم ليست كملامحنا البشرية، ولكن أكثر تلك الأشياء رُعبًا هو الشخص الذي أشعل الشمعة، وجهه مُستطيل ولون الجلد غريب والابتسامة مرسومة على وجهه، جلس الرجل على مسافة خطوات قليلة من سالم وبدأ يتحدث بكلمات ليست مفهومة: "أعوذ بك يا أهل وادي الجن، أعوذ بالملك الأحمر، وأعوذ بسمسائيل، وأعوذ بسيد وادي العداة وسيد وادي القرنيم، ارجعوا يا جنود المارد الأحمر، أنا خادمكم المُطيع فنحن رواد العالم السفلي، يا مخلاب الجان السفلي، قوم سامر الأزدي عودوا إلى مخالبكم وسيروا في طُرقات قبائلنا، البشر مُذنبون، البشر خائنون، نحنُ المُعمرون، الحرب مُستمرة إلى يَوم الفَصل بين الحق والباطل."

دخل سالم تِلك الفيلا المهجورة منذ زمن في الليل بعدما ذهب أصدقاؤه إلى فراش النوم، اقترب سامح من باب الفيلا وكان ضخمًا عتيدًا ثُم التفت قليلًا إلى جانبهِ فرأى إحدى النوافذ بها فتحة كبيرة قد يستطيع الدخول من خلالها وبالفعل خطى نحو النافذة وقبل أن يدخل جاءته مُكالمة هاتفية من أقرب أصدقائه: "متدخلش المكان ده، مش بتاعنا يا سالم، أرجوك متدخلش لأني مش هعرف أعملك حاجة لو اتأذيت، ملناش في اللي هتشوفه جوه يا صاحبي، إحنا أصغر بكتير من اللي ممكن يحصلك."

يَخْطر في بالك الآن سؤال، كيف عرف صديق سالم بوجوده هُناك؟

الحقيقة أن صديق سالم قضى نصف حياتِه تقريبًا في حضرة الخدم من الجن وكانوا مُطيعين خادمين له، ولمن يُحبهم، وبالطبع سالم واحد من الذين يُحبهم ويُفضلهم عن الجميع، وحتى هذا الصحفي بدأ في مسيرة البحث عما وراء الطبيعة مُنذ أن دخل صديقهِ في عالم غير العالم الذي يعيش فيه البشر وتطور الأمر إلى الكتابة عن هذه الماورائيات والأساطير

بل وازدادت الأمور تطورًا فبدأ اكتشاف الأماكن المسكونة بالجن والتي شهدت حكايات ليست طبيعية وكان هذا المكان اكتشاف لم يُرد له صديقه أن يبدأ فيه لكن سالم لأول مرة يُعارضه ويَصر على اقتحام المنزل وإقحام نفسه في أمور أكبر بكثير من كل ما خطر في حياتهِ من قبل، الفضول في أبهى صورهِ، الفضول الذي أنهى بهِ المطاف في هذه اللحظات وجعله في الأخير يفقد الوعي بعد سماع تلك الكلمات الغامضة واستفاق على أذان الفجر ليرى أمامه شيئًا سيُحرك فضوله أكثر من أي وقت مضى وسيخوض معه رحلة طويلة أهم وأصعب من كُل الرحلات التي خاضها من قبل، كتاب له غُلاف أسود وإطار من الخلف لونه بني داكن، عدد صفحاتهِ ليس كبيرًا ويبدو أنه قديم جدًا حتى أنه عندما أمسكه كاد الغلاف أن يُزاح منه، أخذه وعاد مرة أخرى إلى منزله سريعًا .

* * *

بدأ يفتح عينيه وهو ما زال نائِمًا على ظهرهِ يُحاول أن يُنبه حواسه لاستقبال يوم جديد من أيامه الرتيبة والمملة، ينزل من على الفراش

ليذهب إلى الحمام كما هي عادته، حيثُ إنه يستمر في الحمام قرابة النصف ساعة ليخرج إنسانًا آخر وفي لحظة يُصبح مُنتعشًا للحياة والعمل ولكن اليوم عُطلة ليس هُناك عمل، صلى آدم صلاة الظُهر لأول مرة تقريبًا مُنذ وفاة الوالد، حتى آدم نفسه تعجب من قراره وشكرَ ربه الذي أهداه حتى ولو للحظات قليلة لكنه تذكر سريعًا أن صلاته الآن غير صالحة ولا تسألني لماذا، فعاد مرة أخرى إلى الحمام وفي هذه المرة لم يَستغرق أكثر من عشر دقائق حتى خرج وصلى في غُرفة نومه، وبدأ رحلة البحث في ثلاجة المنزل البسيط الذي يعيش فيه مُنذ أن بدأ العمل في شركة والده بالشراكة مع صديق عُمره جلال وابنه الرفيق الدائم لآدم في كُل شيء مُنذ الصِغر، آدم كانَ مُعتادًا على أن يضع أي شيء في فمهِ بعد استيقاظه مُباشرة، تِلكَ الرحلة لم تَكُن الوحيدة فهُناك رحلة بحث آخر خاضها آدم، رحلة المعرفة، معرفة حقيقة والده، آدم ما يزال يَشعُر أنه يجهل الكثير والكثير عن والدهِ عُمران، آدم لا يعرف من هُو عُمران، فذهب بخطوات بطيئة نحو جهاز الكمبيوتر الخاص بالوالد والذي حرص آدم أن يضعه بين الأغراض وقتما سافر من القاهرة إلى تِلك المدينة الساحلية

الساحرة، ظل أكثر من نصف ساعة يبحث وكانت تِلك المرة الأولى التي يفتح فيها آدم هذا الجهاز بالرغم من شعوره بعدم الراحة ورغبته في البحث، آدم أدرك مُنذ أن كان صغيرًا أن هُناك شيئًا ما لا يعرفه وسيعرفه فيما بعد، وكل ما مضى الوقت يزداد إدراكه بهذا الموضوع رويدًا رويدًا، لاحظ وجود ملف لبرنامج WORD وحيدًا داخل ملف آخر بعنوان "الحرب"، فتح الملف ولم يجد فيه شيئًا مُفيدًا، مُجرد كلمات غير مفهومة وغير مُرتبة، وعناوين كثيرة أمثال: (الجنود، المصير، اللعنة، القُدرة، الإله)، لم يفهم لكنه تعجب كثيرًا فسأل نفسهِ: "ماذا كان يفعل أبي بهذا الملف وعلام تدل هذه الكلمات؟"، لم تَمُر لحظات كثيرة وإذ فجأة وَرد في ذهنه فكرة الذهاب إلى المنزل القديم ليُفتش ويبحث أكثر في تِلك الغُرفة التي لم يكن لأحد الحق في دخولها سوى عُمران وآدم على يقين أنه سيجد الإجابة على جميع تساؤلاتهِ التي لا تنتهي، أمسك بهاتفهِ وأجرى مكالمة هاتفية مع صديقه الوحيد ورفيق عمله ورفيق كُل شيء .

ـ بقولك إيه.. أنا مش جاي الشغل بكرة عشان مسافر القاهرة وراجع على طول .

ضحكَ كعادتِه كما يضحك على أي شيء: "في مُزة مستنياك ولا إيه يا صاحبي؟ الشغل أهم". وأراد أن يُكمل نوبة السُخرية فقال: "والله هقول لبابا إنك بتفضل النسوان على شُغلك."

ـ المهم أنا قلت أبلغك، يلا سلام يا صاحبي.

ـ سلام يا حبيبي، لما تيجي كلمني .

* * *

مشهد غريب للغاية الذي رأيتهُ في تِلك المرة، حيث من المعروف أن شهر أغسطس أكثر الشهور حرارة ورطوبة لكن الجو من حولي قارس البرودة، حتى القمر لم أرهُ مُكتملًا بالرغم من أننا في مُنتصف الشهر، ربُما عيناي لم تَكُن سليمة وحتى حواسي لم تَكُن طبيعية في المرة الأخيرة التي أقتُل فيها، أنا القاتل، أنا من قتلت كل من لم يُعرف له قاتل، أنا أهم قائد في المعركة الأبدية، أنا كافر، نعم كافر بدُنيانا وعالمنا، مؤمن بكُل ما لا تؤمن بهِ، لا تظن أنها حرب بيننا وبينهم، أنا كُنتُ أظن مثلكَ تمامًا إلى أن

أدركت أن الحرب في الأساس بينهم هُم، لقد اخترت أن أكون منهم، عفوًا أنا لم أختر أو أُخير، أنا سُخرت ولم أسخر، هُم جعلوني قائدًا لهم، محاربًا في صفوفِهم، عارفًا لخبايهم وشاهدًا على الملحمة التي لم يعرف عنها أي من البشر إلا الذين كانوا مثلي، وأمثالي أقلاء، لو تقرأ كلماتي الآن فاعلم أني بين أيديهم، فاعلم أني خائن مُرتد، فالامتناع عن فعل الأوامر بالنسبة لهم خيانة وأنا امتنعت، ألم أقل لك إنها المرة الأخيرة، هُم مُدركون بصعوبة العثور على شخص يفعل ما كُنت أقوم به، البنو آدم يا عزيزي قاتل بالفطرة وارجع إلى التاريخ، اطمأن يا من تقرأ، أنت بعيد كُل البعد عما أقول وبعيد كُل البعد عن هذه الحرب إلا إن كُنت "آدم" الذي يقرأ، آدم.. لو تقرأ الآن فعليك بإيقاف ما لم يستطع إيقافه أبوك ولا أحد، إذا كُنت تقرأ فأرجو منك إنهاء الحكاية، ولو كان هُناك أحد قادر على فعل ما كُنت أقوم به فلا يوجد سوى أنت، انصت لهم ونفذ كُل ما يطلبوه منك ولا تتعجل سيأتي دورك حتمًا مهما مر من وقت، لا تنته إلا بعد إنجاز مُهمتك ولا تأمل في الاستمرار فيما بعد لأن حياتك ستنتهي بعد إنجاز هذه المُهمة .

كان عقل آدم في تلك اللحظات يعمل بسرعة كبيرة، رجفة أكبر اجتاحت قلبه، غير مُصدق، لم يستوعب الكلمات التي أمامه، أي حرب التي يتحدث عنها الوالد؟ ومن هُم الذين يَذكرهم، والكارثة الأكبر أنه كان قاتلًا بارعًا، يا للصدمة!

هُنا انتصب الشعر في مؤخرة رأس آدم فلو كان المكتوب حقيقيًا فذلك يعنى أنه مقدم على حياة بشعة، أخذ يتحسس الأوراق التي وجدها فور دخولهِ غُرفة أبيه السرية، ظل ينظر لها بتمعن والأفكار تتطاير من رأسه وتتصارع دون انتظام حتى غلبه النعاس في لحظة وذهب إلى الفراش لتكتمل تِلك الليلة الغريبة بكابوس أغرب ولا يقل فزعًا عما قرأه منذ بضع ساعات.

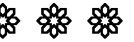

الأجواء في مُجتمعنا تَمنعني أحيانًا من الحُكم على الناس في أفعالهم ومواقِفهم تِجاه غيرهم وتجاه أنفسهم، الأجواء هُنا لا تُساعد على العيش فكيف أن تجعلك تَحْكُم، صدقني جميع الأحكام ظالمة .

كما هي العادات، هدوء يَعُم في المكان وصوت أمواج البحر لا يتوقف، الطُرقات مليئة بالناس، الطاولات وحدها شاهدة على تِلك الثرثرة التي تخرج من أفواه النساء كُل ليلة، بعض النساء قادرات على ما لا يقدر عليه الشيطان، وفي رواية أحدهم قال: "هُن أكثر وسوسة من الشيطان."

لا يعرف سامح لماذا يَميل إلى الجلوس في هذا المكان دونًا عن غيره من الأماكن المُطلة على البحر إلا أنه لا يَشعُر بالراحة سوى هُنا والراحة ليس بالضرورة أن تتواجد في المكان الصواب!

أكثر ما يُميز هذا المكان هو الضجيج والصخب اللذانِ لا يُلاحظهما أحد، كعادَتِهِ يَشرب من الشيشة كل ليلة ويتأمل في وجوه الناس وأفعالِهم أكثر مما ينظر إلى البحر، ذهبت عيناهُ بعيدًا فرأى "رؤوف"، مالك هذا المكان، يجلس على طاولته المُخصصة ويقوم بنفس الأفعال ورُبما يلفظ نفس الكلمات ويتحدث بالطريقة التي تحدث بها في كُل المرات لكن الاختلاف فقط في المرأة الجالسة معه، من أين له كُل هذه النساء وكيف له أن يتلاعب بهن في كُل مرة وفي أي لحظة، كَكل المرات السابقة جاء رؤوف عِند الطاولة التي يجلس فيها سامح وابتسم له قائلًا: "على فكرة مش أنت لوحدك اللي ظابط، أنا بردو كنت ظابط شرطة سابق وباخد بالي كويس من نظرات العيون."

استمر سامح في شربهِ للشيشة دون أن يُبالي للأمر ثُم تحدث: "على كده بقى إحنا احتمال نفهم بعض كويس."

قرر رؤوف الجلوس أمام سامح قبل أن يُكمل كلامه: "من ساعة ما خدت بالي منك وأنا كل شوية بلاحظ إنك بتبص عليَّ وبلاحظ كمان إنها بصة فيها تعجب أو استغراب ."

هُنا قرر سامح أن يكون أكثر عُنفًا: "أو ليه ماتقولش استحقار."!

كان رؤوف يتسم ببرودة الأعصاب، قليل ما يُستفز أو يفقد أعصابه مهما بلغ الأمر: "ما أنا كُنت هقولها بس أنت مدتنيش فُرصة، هو أنت متجوز أو خاطب؟ ."

ـ لأ.. عندك عروسة؟

ضحك كثيرًا في هذه اللحظة قبل أن يقول: "أنا معنديش عرايس، بس أنت لو عايز أكيد هتلاقي، إنما قول لي بقى طالما مش متجوز ولا خاطب، ليه مش بشوفك بتقعد مع أي بنت؟ ."

ابتسم سامح ابتسامة سُخرية: "عشان كُل البنات بتقعد معاك تقريبًا ."

تعالت ضحكات رؤوف مرة أخرى: "متفتكرش إن اللي بعمله ده مهارة مني في جذب الستات، الفلوس هي اللي بتجذبهم مش أنا، كل الحكاية إني بحب أشوف تصرفات الست ونظرات عيونها اللي مليانة جوع وطمع، بحب أشوفهم وهما مُستعدين يعملوا أي حاجة مُقابل الفلوس ".

شردَ سامح هذه المرة في كلامه وقرر أن يسأله سؤالًا جاء في ذهنِه: "طب ولما أنت معاك فلوس كتير ومرتاح ومُستقر، ليه متجوزتش لحد دلوقتي؟ ".

تبدلت ملامحه سريعًا وظهرت عليه نوبة من الألم في لحظة لم يفهمها سامح: "مين قالك إني متجوزتش؟ أنا اتجوزت قبل ما أكون الشخص اللي قاعد قدامك دلوقتي، بس مراتي سابتني عشان كُنت على قد حالي وراحت اتجوزت واحد تاني معاه فلوس ".

ـ طب ومبتفكرش تتجوز تاني ليه؟

ـ ما هو يا سامح باشا مفيش ست قابلتها تستحق إني أقعد معاها في البيت بالليل في الوقت ده كده وأسيب البحر والستات والدخان، زي ما أنت شايف يعني، مفيش ست قابلتها مش طماعة، أوعدك أول ما أقابل واحدة مش عايزة تبيع نفسها عشان الفلوس، أنا هتجوزها، بشكرك على الكام دقيقة دول اللي أخدتهم من وقتك وبإذن الله نقعد تاني أكتر من كده ."

* * *

الوقت الذي تنام فيهِ دون أن تُفكر في أي شيء، وقت لا يُقدر بثمن، قالوا الناس مِن قبل إن راحة البال لا تُشتَرى بمال!

أنا أُؤمن جِدًا بهذه المقولة، وأؤمن أيضًا أن النوم يبقى أحد الأشياء المُقدسة، لكل منا حِكمه وعباراتهِ التي تُصدقها قناعَته، فهُناك من يرى الزواج "مشروع"، وآخر يرى أن الحُب لا يعرف الكرامة، والحرية تَعنى لبعض الناس كُل ما هو خارج عن المألوف وتعني للآخرين التباهي بالأخطاء والتفاخر بالعُري وإباحة الجنس بل وإباحة كُل أنواع الجنس، ولا أخفي عليكم القول "كلنا مُتناقدون ."

لم يكن النوم في هذا التوقيت مُريحًا لآدم، الأفكار والحيرة تنتابهُ، عقله مهووس بما قرأه في هذه الليلة المشئومة، حتى أحلامه لم تتركه بالرغم من أنه قليل ما تأتيه أحلام إلا أن هذه المرة زارهُ كابوس مُفزع، رجُل عجوز أبيض البشرة، شواربه كبيرة، عيناه لامعتان ليست كأعين البشر، طويل القامة، عريض الجسد وملامحه ليست كملامحنا، التجاعيد تملأ جفونه.

"أليس هذا الرجل الذي قابلته عندما كنتُ صغيرًا أثناء رحلتي بالدراجة!"، قالها آدم لذاتهِ حين استفاق من نومهِ، رأى ذلك العجوز يمسك بكلتا يديه كأنه يقبض عليه وسار به إلى مكان شاسع المساحة وبه أشكال ورسومات كثيرة لا يفهمها، والضوء خافت ويزداد الجو ظلامًا رويدًا رويدًا حتى أصبحت الدُنيا مُعتمة في لحظة، ثم بدأ الرجل يُسلط ضوءًا بسيطًا أثناء السير حتى وصلا الاثنان إلى سرداب طويل فتحه الرجُل ليرى آدم ما لم يتمنه وما لم يكن يتوقعه، فقد رأى جُثثًا لأشخاص وهياكل لكائنات حية، وإذ فجأة يجد نفسه وحيدًا في هذا المشهد بعد أن التفت للوراء ولم يجد أثرًا لهذا العجوز ولا حتى للباب الذي دخل منه!

بعد ذلكَ استفاق من الكابوس الأسود، ارتدى ملابسه سريعًا وكانت الساعة الحادية ظُهرًا، أخذ أغراضه والورق الذي قرأه بالأمس وركبَ سيارته ليغادر مرة أخرى إلى المدينة التي يعمل بها. أفكاره لم تهدأ وظنونه لم تُشف، لم يَكُن يريد أن يربط أيًا من الأحداث ببعضها لكن الوقت أجبره على فعل ذلك، الوقت مرير أكثر مما تتخيل، مع الوقت دائمًا يتبدل كُل شيء ويتغير ما لم تَكُن تتوقع أن يتغير أبدًا، وصل آدم سالمًا إلى المدينة بعد رحلة استغرقت أكثر من 5 ساعات، لا يعلم لماذا يُسيطر عليه النعاس مرة أُخرى لكنه يشعر أيضًا بالأرق الشديد، أمسك بهاتفه وأجرى مكالمة هاتفية مع جلال صديق والده .

ـ آلو.. ازيك يا عمو؟ واحشني جدًا .

قابل جلال مكالمة آدم بكُل ترحيب فكان يُحبه كما يُحب ابنه بالتمام ويُعامله بالحسنى خاصة أن عُمران أوصاه عليه قبل أن يُغادر الحياة .

ـ يا آدم إحنا عايشين في بلد واحدة وشغالين في شركة واحدة ومش بنشوف بعض، عيب يا ابني والله .

ـ أنا بسأل عليك ابنك على طول بس هو تلاقيه مش بيقول لك، أنت عارف بقى المشاغل .

ـ أيوه يا سيدي، عارف المشاغل، وعارف بردو السهر اللي بتسهروه والنسوان اللي هتوديكم في داهية .

ضحك آدم قليلًا: "يا حبيبي والله ده ابنك مش أنا، المهم أنا كنت عايز أقعد معاك النهاردة لو فاضي، عايز أتكلم معاك في بعض الأمور ."

تعجب جلال بعض الشيء، هو يعلم أن هُناك يومًا لابد أن يأتي!

ـ حاضر يا آدم، تحت أمرك في أي وقت يا حبيبي، عدي عليَّ بالليل في المكتب نتكلم .

أراد آدم أن يفهم ما لم يفهمه مُنذ زمن، فهو يعلم جيدًا أن كُل الأسئلة التي لا يجد لها إجابات سيعثُر عليها عند جلال لأنه البير الغويط الذي استقبل كُل أسرار عُمران طوال حياته .

❁ ❁ ❁

الحقيقة أن لكل استثناء قاعِدة وليس العكس !

رُبما لو اعترفت لحظة بضعفِكَ لوجدتُ الحل لـمُشكلاتك وربما تعود بعدها أكثر قوة مما كُنت عليه، لكِنكَ تأبى أن تستسلم لضعفك، تأبى دومًا أن تكون إنسانًا!

أنت تكره الضُعفاء، تَكره أن يكون لك نقاط ضعف، تَكرهُ أحيانًا قلبك لأنه يُريدك كما البشر من حولك، وليسوا كُل بشر ضُعفاء، وليس أنت وحدك من تكرهُ ذاتك !

* * *

استيقظ عمر من نومه قبل أذان العشاء ككل ليلة من بعد دخولهِ عالم العُزلة والاكتئاب، أحضر كوبًا من القهوة كعادتهِ مع سيجارته المُعتادة وجلس في الشُرفة المُطلة على البحر، جلس ينظر ويتأمل، لا يفعل شيئًا مُفيدًا، كُل ما ينظر له يتغير مع الوقت إلا هو فقط الذي يبقى على حاله لا يتحرك ولا يتغير، أخذ نفسًا عميقًا من السيجارة وبدأ يسرد الأحداث لذاتهِ، يُعاتب ذاته تارة ويشكو الزمن تارة أخرى، لحظات من البكاء والندم، والبكاء في أحيان كثيرة لا يكون ظاهرًا في الأعين بل يختبئ بداخلنا، لم يَعُد عُمر إلا مُمارسًا للجنس وشاربًا للخمور وناظرًا للبحر كُل ليلة، حتى رانيا لا يُدرك حتى الآن كيف وجدها بهذه الحالة المُسترخية المُستسلمة لكُل شيء، كأنهما بقايا روح التقت في جسد واحد، ما يُدركه عُمر أن لا حُب يأتي بعد الجنس، وهو ما كان عليه مع رانيا، فكان الاثنان مُحترفين في ممارسة الجنس، لا يَخلد إلى النوم قبل أن يُقبِّل كل جزء في جسد رانيا وقبل أن يُسقيها مما تهوى هي أن تُسقى به كل ليلة، لم تَكُن رانيا في المنزل عندما استيقظ هذه المرة لكنه لا يُبالي ولا يريد أن يعرف أين ذهبت، هي ستعود بعد قليل أو بعد ساعات، المهم في

الأمر أنها ستعود، بدأت أفكاره تعود إلى الماضي، بالأمس القريب كان هُنا، كُنا سويًا، نلهو ونعمل ونسهر ونفعل كُل شيء سويًا، لماذا تغير كُل شيء من حولي ولماذا أنا على هذا الحال، لماذا لم أستطع التغلب على خوفي وأُنهي العتمة التي اجتاحت كل صوب من حولي، أين أنت يا أبي الآن؟ أين أنت يا صديقي؟ لماذا رحلتم وتركتماني أعاني وحيدًا؟

جاءت رانيا وقطعت كُل ذلك: "إيه يا عمر مش هناكل؟ ."

صوت رانيا وحده كان عذبًا، يطرب كُل الآذان، صوتها جميل للغاية فما بالك بعينيها وما رأيك في جسدها!

التفت عُمر لها وابتسم على غير عادتهِ فكان نادرًا ما يضحك: "جهزي الأكل وأنا جاي ."

ـ حاضر .

جاءت رانيا بالطعام سريعًا وكانت المشويات التي يُحبها عمر وتُحبها رانيا أيضًا وأثناء تناول الطعام قام عُمر من مقعدهِ قائلًا: "هروح أجيب إزازة مياه ."

غاب عُمر أكثر من اللازم فذهبت رانيا لتراه ماذا يفعل فوجدته مُستلقيًا على الأرض فاقدًا تماما للوعي، ارتبكت رانيا وانتابتها صدمة كبيرة، أتت بمياه وبعض من العطر وأمسكت بجسد عُمر وهي تحاول أن تُفيقه وتُعيده مرة أخرى إلى وعيه، لم تخش رانيا في حياتها كتلك اللحظة، هي تُدرك أنها لن تجد مثل عُمر، تُدرك أنها في احتياج لوجود هذا الرجل تحت أي ظروف وأي مشاعر، استفاق عُمر أخيرًا ووصلت بهِ إلى الفراش قبل أن تتساءل: "إيه اللي حصل يا عُمر؟ ."

نظر لها عُمر نظرة طويلة غير مُعتادة: "لو مُتْ هتزعلي؟ ."

ـ هزعل عشان مش هلاقي شخص أقدر أبقى معاه بالأريحية والطمأنينة والسعادة اللي بلاقيهم معاك .

ـ والحب؟

ـ أنت مبتحبنيش، ليه هحبك، ليه أكون بحب واحد مبيحبنيش، على الأقل لو بحبك مش هعترف بده قدامك ولا حتى قدام روحي عشان

أفضل في نظر نفسي مش البنت اللي تحب حد ميحبهاش، زي ما تقول كده بحافظ على شوية الجبروت اللي كانوا فيَّ زمان وراحوا وراحت نفسي معاهم قبل ما أعرفك، اللي بيننا يا عُمر أكبر من كونه مُجرد حب ."

ـ احتياج مُتبادل؟

ـ الاحتياج لما بيتحول لاحتياج جنسي أكثر من أي شيء تاني بيبقى إدمان، وإحنا اللي بيننا إدمان .

ـ مش نفسك تتعالجي؟

ـ العلاج مش هيفيد بحاجة، لأني لأول مرة هقولك إني بحبك .

❁ ❁ ❁

في أحيان كثيرة، الأحلام تؤدي إلى الموت!

الشر يُحاوِطنا في كُل خطوة نَخطوها وفي كُل مرة نظن أنها الأخيرة ونُدرك فيما بعد بأنها لم تَكُن الأخيرة، يتسلل الشر بداخِلكَ مُنذ اليوم الأول الذي أتيتَ فيه للحياة، ويبقى الوقت يمضي وتَمُر عليك لحظات حياتك، أفعالك ومواقفك، نظرتك للآخرين ونظرات الآخرين لك، أثناء هذه الحلقات المُتعاقبة يَكبر الشر داخل الأنفس، وتبدأ تَنظر لما حولك من زوايا مُتعددة لم تذهب لها من قبل، وحين تبدأ مواجهة الأمور من هذه الزاويا يكون وقتها قد نجح شر ذاتك من الانتصار عليك ومِن أذية غيرك حتى الذينَ لم يُضرونكَ سينالهمَ من شرك جانبًا ويستمر المُسلسل !

* * *

كُنت أحتاج أن أعمل في هذه الجريدة بالتحديد، الأمر يتعلق بتحديات وصعوبات قد راهنت نفسي على تَخطيها فدومًا ما أردت أن أُثبت لذاتي قبل الناس أن الموهبة والاجتهاد سبيلان رئيسيان للوصول إلى الهدف المَنشود، في بلاد مثل بلادنا تَجد أغلبية الناجحين ليسوا مشهورين وعلى النقيض ترى المشهورين لا يعرفون شيئًا عن خطوات النجاح، قُلتها في إحدى السطور من قبل (جميع الأحكام في مُجتمعنا ظالمة أو بمعنى آخر أكثر وضوحًا، جميعها لن تكون ذات دقة ودراية كاملة لأن الظروف والأجواء هُنا تُخلق معايير مُتذبذبة لا تجعل من الحكم عنوانًا لأي حقيقة) !

* * *

الثامنة ليلًا من يوم الخميس، هدوء شديد كما هي العادة في مقر جريدة "الحقيقة"، ذهب الجميع إلى منازله وهُناك من ذهبَ إلى منزل غيره، عُطلة يستغلها الجميع كما يحلو له، ظل سالم جالسًا على مكتبه يبحث في بحور أفكاره عن فكرة تُنتج موضوعًا يكتب عنه هذا الأسبوع، مواضيعه دائمًا ما تكون مُثيرة للجدل وعليه أن يَستمر فيما كان

سببًا في أن يُصبح رئيسًا لقسم الحوادث في مؤسسة مرموقة مِثل التي يعمل بها، أثناء انشغاله جاءهُ أحد المُحررين ويُدعى محمود الزيات، يَطلب منه أن يطّلع على فكرة خطرت بذهنهِ، فأذن له سالم بالجلوس فكان يهوى الاستماع للجميع خاصة المُحررين الذين يعملون في قسمهِ، لما لا وهو كان منهم في يوم من الأيام .

ـ اتفضل يا محمود، قول لي عندك إيه؟

ـ بص يا ريس.. أنا كُنت قاعد إمبارح بالليل على النت ولقيت قدامي بوست على الفيس بوك بيتكلم عن عالم الديب ويب اللي هو الإنترنت الخفي عن الناس، عالم كده اللي بيدخله بيتحول لشخص تاني غير متحكم في تصرفاته وأفعاله، الشبكة دي لما بتدخلها بتنفذ كل المطلوب منك زي الحاجات العادية يعني، اسمك وسنك وصفتك ولكن بيبقى في أمور تانية مُختلفة شوية .

ـ وفي أشخاص بقى وصلت لهم دخلوا العالم ده؟

فكرَ محمود قليلًا لأنه لم يكُن يمتلك إجابة حينها، لكنه أكمل ما بدأه: "أنا لسة متوصلتش لنماذج بس ده مش هيبقى سهل ولو كتبت الموضوع أكيد فيما بعد هبحث عن ناس دخلت في الشبكة دي وهعرف إيه اللي حصل لهم وإيه اللي عاشوه في التجربة ."

مال برأسهِ رويدًا كأنه وجدَ ما كان يبحث عنه، أراد أن يبدأ من هُنا، أراد أن يبدأ رحلة موضوعه الجديد من هذا العالم ولكن من خلال فكره، هو يعلم أنه سيخرج من ذلك بأشياء لن يستطيع المحُرر الخوض فيها: "ماشي يا محمود، تمام، فكرة كويسة ومُختلفة وأستأذنك بقى أنا كمان هبحث في الموضوع ويمكن أطلع منه بحاجة أكتبها الفترة الجاية مع الاحتفاظ طبعًا بحق الفكرة اللي ملكك ."

ابتسم محمود قبل أن يقول: "يا ريس ده شرف ليَّ، مُتشكر جدًا ."

* * *

رحل سالم إلى منزله سريعًا وفضوله قد بدأ في التحرك بداخلهِ، ازداد أكثر وأكثر حينما فتح جهاز الكمبيوتر الخاص بهِ وبدأت رحلة البحث،

لا يعرف كيف وصل سريعًا لذروة الموضوع، الشبكة بكُل تفاصيلها أمامه، لم يفهم ما يراه، شبكة معلوماتية مثل التي نستخدمها لكنها غامضة مُخيفة، لم يرد الدخول إلى عالمهم أكثر واكتفى فقط بالبحث وكان للبحث بعض الشروط مثل شروط التسجيل في أي موقع إلكتروني، لكن ما لفت انتباهه وأثار مخاوفه قليلًا ذلك الشرط الذي يقول: "لا تنه عملية بحثك أو قراءتكَ لأي موضوع قبل ثلاث ساعات من بداية القراءة وإذا خالفت فعليْكَ تحمل العواقب، نحنُ نُراقبك أينما ذهبت"، قرأ سالم الشروط وتمهل لحظات، لحظات من التفكير والحيرة، انتابه شعور بالخوف، كيف لا يخشى وكُل شيء يدعو إلى الخوف! لكن الفضول يضغط عليه أكثر وأكثر وأكثر، لا سبيل سوى الخوض في هذه الرحلة فرُبما ينتهى به المطاف بكتابة موضوع يُصبح مَحطة مهمة في مسيرته المهنية، ورُبما ينتهي بما لَمْ يَكُنْ في الحُسبان! لا يعرف ماذا ينتظره وقد قبل بالشروط وبدأت عملية البحث، وأمامه مواضيع مُقترحة كثيرة منها ما يعرفه ومنها ما لا يعرفه، ظل يُفتش هُنا وهُناك حتى وصل بمُحرك البحث إلى عنوان جذبه جدًا وشرد به ذهنه كثيرًا قبل أن يخوض

مُغامرة القراءة "الحرب الملعونة"، موضوع شيق وجذاب فماذا عن المُحتوى!

دخل سالم سريعًا وبدأ في قراءة السطور ويبدو أنه ليس كبيرًا ووضح ذلك من خلال الصفحات التي لم تتعد العشر صفحات وكان المضمون كالآتي :

"الحرب خدعة، لا تبدأ بالسلام إلا وأنت فائز بالحرب، فما بعد الحرب أيضًا خُدعة !

الحياة قائمة على منهج الصراع، صراع الخير والشر في المقام الأول والأخير، كل المعارك السابقة والقادمة هي في الأصل معارك قامت من أجل هذا النهج، اسعى نحو طريق المعرفة، فالطُرق عِدة وعليك أن تَسلك الطريق الذي أعددناهُ لكَ وللذين من بعدكِ كما كان من سبقوك، أنت الآن في سرح الحقيقة ولحظة من اكتشاف ما لا يمكن لعقلك استيعابه مُطلقًا، أنت مُرغمًا على اتباع قوانينا فلِكُل حرب قوانينها، وأنت

في حضرة الحرب الأزلية بيننا وبينهم فعليك أن تتبعنا وإلا ستذهب مع الذين ذهبوا دون جدوى، الحروب في العادة تبدأ ولا تنتهي حتى ولو أشاعوا بأنها انتهت فاعلم أنهم كاذبون، هُناك توقفات بالتأكيد ومن ثُم تُستأنف المعركة من جديد وعليك أن تتبع فصول الملحمة، نحنُ هنا نضعِك في بداية الطريق وأنت عليك بالبحث والسعي نحو الإجابات التي لن تجدها في هذه السطور، كُل ما يُمكننا إخبارك به هو انتهاء أحد فصول المعركة مُنذ وقت قصير وقد استمرت أحداث هذا الفصل مئات السنين ومع اختلاف الأجيال والظروف، الزمن شاهد على كُل شيء حتى أماكن القتال شاهدة على الحرب والقتلة والأموات في حربنا لا يُدفنون في مقابركم بل في مقابرنا نحنُ، عليك بالذهاب إلى أقصى الشمال من الناحية الشرقية، ستجد الأحداث هُناك في المكان الذي اختاره جنودنا مأوى لهم ولأسرارهم، المكان يتغير مع الزمن ولكننا نُحدثك عن الفصل الأحدث من المعركة، سيمر اسم المدينة أمام أعينك في عدة مناسبات خلال الفترة القادمة، لو انتبهت ستعرف وبعد أن تعرف لا تخبر أحدًا لأنه سر وهذا السر رُبما تَدفع أنت ثمنه فيما بعد فاحتفظ

لنفسك، واعلم أيضًا أن كُل من له علاقة من البشر بأعدائنا قد قُتل وسيُقتل، وما زالت للحرب بقية ."

* * *

في الحرب كُلنا خاسرون، المكاسب ما هي إلا خسائر قليلة فقط !

الواحدة بعد مُنتصف ليل الثلاثاء من آخر أيام شهر نوفمبر، الأجواء هُنا تُجبرك على الهدوء مهما كانت نوبات الصخب تَسكن قلبك، الغُرفة التي ينام فيها عُمر شديدة العشوائية لكنها مُرتبة فقط في استقبال مواعيد الجنس اليومية بين عُمر ورانيا ورُبما ذلك أيضًا أُصيب بتلك العشوائية فأصبحت هذه اللقاءات ليس لها أوقات رسمية، أراح عُمر رأسه على وسادة المقعد الذي يجلس عليه وألقى بنظراتهِ بعيدًا إلى البحر والناس من حولهِ بالأسفل في الطُرقات التي لم تَحمل إلا القليل من البشر في هذا التوقيت، مدَ يديه جانبه ليأخذ زجاجة البيرة التي يهواها كُل ليلة وإذ فجأة تمسك رانيا بيديه طالبة منه أن ينتظرها حتى تأتي ليتشاركا سويًا في رحلة السُكر المُعتادة والمُعادة كُل يوم .

ـ عُمر أرجوك استنى، هاخد شاور بسرعة وهاجي نشرب سوا وجيبالك كمان المَزْة اللي بتحبها مع البيرة .

مال عُمر برأسه جانبًا ليرى رانيا قبل أن يقول: "وليه تاخدي شاور؟ ما تيجي دلوقتي وبعدين أنتِ كده كده هتاخدي الشاور قبل النوم ."

ابتسمت رانيا ورُسمت عليها ملامح خجل ممزوجة بأريحية، في الحقيقة لا أعلم أي خجل هذا الذي تشعُر به وهي واقِفة أمامه لا ترتدي سوى سروال وحمالة صدر: "ما أنا لازم آخد شاور دلوقتي عشان أبقى جاهزة للي هيحصل بعد البيرة، يا حبيبي هو أنت ناسي إننا بقالنا كتير وناسي كمان بسبب إيه."!

ـ افتكرت يا حبيبتي، خلاص أنا مستنيكِ متتأخريش .

* * *

جاءت رانيا مرة أخرى بعد أن قضت حاجتها وأعدَتْ المُقبلات التي يُحبها عُمر وأعدَت أيضًا جسدها لقضاء ليلة مُمتعة كالعادة دائمًا، رانيا

ليست في حاجة دائمة إلى الجنس لكنها تهوى أي شيء يَحدُث مع عُمر فما بالك عندما يكون هذا الشيء لقاء بين رجُل وأنثى كلاهما يَعشق الآخر في فراش واحد وبعد شُرب عدد ليس بقليل من زجاجات البيرة، أحيانًا يا عزيزي تأتي الشهوة من الفضول، ولا تنس أن الشهوات تُفرز من العقول !

ـ "إحنا ليه يا عُمر مش بنحاول نعمل حاجات جديدة؟"، قالتها رانيا من باب النقاش لكنها لم تَكُن تتعمد شيئًا، أجابها عُمر ساخرًا: "حاضر، أوعدك المرة الجاية هنغير نوع البيرة ."

ضحكت وأمسكت بيديه: "أنا بتكلم بجد مش قصدي إننا نغير من حاجة بنعملها هنا دايمًا، أنا قصدي ليه منفكرش في أي حاجة تجمعنا غير البيت ده والسرير والإزازة."!

ـ أنا مريض بالصرع، عندي صرع حاد من قبل ما أعرفك، أنتِ أكيد حاسة إني دايمًا فيَّ حاجة مش مظبوطة، أنا مريض يا رانيا، مش عايز

أشوف مرضي بيأثر أو بيهد فيَّ أو بيسببلي أي ضعف غير هنا في البيت لِأني بكره حد يشوفني ضعيف .

تجمعت الدموع في جفون رانيا وارتبكت من داخلها لِأنها لم تعرف ما قاله من قبل.

ـ أنت ليه مقولتش طيب؟ ليه محكتش وطلعت اللي جواك؟ أنت دايمًا بتقول إننا اتحطينا في طريق بعض عشان إحنا ملناش غير بعض وأنسب اتنين ممكن يعيشوا مع بعض .

ـ ما أنا قولت لك من ثواني، بكره حد يشوف ضعفي .

ارتمت رانيا بين أحضانه بعدما ذهب الاثنان إلى الفراش .

ـ لسة يا عُمر في حاجات تانية أنا معرفهاش، أنا معرفش عنك حاجة تقريبًا غير إن اسمك عُمر ووالدك متوفي من كذا سنة وعندك أملاك وفلوس كتير وارثها عن والدك الله يرحمه وبصراحة في حاجة كمان نفسي

أفهمها.. بحسك دايمًا مش عايز تقولها لكنها بتبقى في عينك كل ما أشوفك قاعد في البلكونة هنا .

مال كثيرًا برأسه على الوسادة وأغمض عينيه مُستمعًا لما تقول فهو يعلم ما ستقولهُ بعد ثواني.

ـ بشوفك دايمًا باصص للبحر يا عمر وللمكان اللي جنب البحر وبحسك عايز تعيط زي ما تكون ندمان على حاجة أنا مش فاهماها!

ظل عُمر مُستلقيًا على الفراش: "ده المكان اللي قامت فيه الحرب زمان."

ظهرت على رانيا علامات اليأس فشعرت أن لا فائدة من الأسئلة لأنها في مرات عِدة تستمع لهذه الجملة دون أن تسمع جملًا أخرى مُفيدة .

ـ أنت قلت لي الجملة دي قبل كده ومفهمتش، حرب إيه يا عُمر اللي بتتكلم عنها وبعدين مكان إيه ده اللي تقوم فيه حرب؟

ـ ما أنا قلت لك إنها مش حرب بني آدمين عاديين، وهي في الأصل مش حرب بني آدمين عاديين .

شعرت رانيا بذات الشعور المخيف الذي جاءها من قبل عِندما سَمِعت هذه الجُملة ولكن هذه المرة زادت بعض الكلمات، فاضطرت أن تُنهي حديثها، رُبما يأتي الموعد الذي تفهم فيه كل شيء دون خوف .

وانتهت الليلة بعد أن انتهى المَخزون، كَكُل الليالي بدأت بشغف وانتهت بغُبار الذكريات المصحوب بالندم داخل النفوس !

- الحرب بين الخير والشر مُستمرة إلى نهاية المطاف، أنت وأنا من جنود هذه الحرب الأبدية، كُلنا مُحاربون ولكن من سينتصر في النهاية؟ إذا كانت هُناك نهاية من الأساس!

أتظن أننا فقط من نُسخرهم؟ !

لم تَسمْع من قبل أنهم يُسخروننا ويُحضروننا لنُصبح جنودًا أخفياء في معركة طويلة المدى عرفتها الأرض مُنذ بداية الخليقة، لا تفكر بالهروب، فهؤلاء الموتى الماثلون أمامك ما هم إلا مجموعة مِن المُتمردين، فأنا

اقترحت عليهم مُنذ قدومك هُنا أول مرة أن تكونَ خير خليفة لعُمران، نُريد مِنْكَ أن تَكون مثله في كُل شيء عدا الخيانة، فمصير الخائِنْ معروف، وأنت الآن رُبما تعيش المرة الأولى التي لا تَمْلُك فيها قرارك.

ذهب آدم إلى ذلك الرجُل العجوز الذي قابلهُ عِندما كانَ صغيرًا في تِلك المرة التي كان يقود فيها دراجته على شاطئ البحر، ومُنذ أيام قليلة جاءه هذا الرجل مرة أخرى في أحلامه بعدما اكتشف سر أبيه عُمران فقرر آدم الذهاب إلى ذلكَ المكان مرة أخرى بعد سنوات، كيف لهذا العجوز أن يستمر في العيش طوال هذه المدة من العُمر بنفس الملامح والتجاعيد التي تَسْكُن في ملامحه؟ !

بمُجرد وصول آدم إلى المكان رآه جالسًا وكأنه يَنتظره ولكن أي انتظار هذا الذي يستمر أعوام !

الظلام كان قد حاصر المكان من حولهما، صوت الأمواج عالي للغاية والسماء مُعتمة لا يظهر فيها القمر، نظر الاثنان لبعضِهما لثوانٍ قليلة وقام

الرجل وطلب من آدم الدخول إلى الداخل، لاحظ آدم أن العجوز لديه إعاقة بسيطة في ساقهِ فانتظره أن يدخل ثُم اتبعه دون تفكير، شعر آدم أن الزمن توقف فور وصوله إلى هذا المكان!

جدران مُنهكة ورائحة غريبة حتى أعيُن الرجل لم تَكُن كأعين البشر وكأنه ليس بشرًا من الأساس !

وقف آدم مُتسمرًا ينظر إلى أركان المكان الذي لا يعرف إذا كان منزلًا أم لا، وبدأت أصوات كثيرة تتداخل في وقت واحد تظهر وتتسبب في إرهاق أذن آدم بشدة، أصوات قوية تُلفظ بكلمات غير مفهومة والرجُل العجوز جالس أمامه لا يُحرك عينيه إطلاقًا، ينظر بتمعن إلى آدم وما زالت الأصوات تعلو أكثر وأكثر وإذ فـجأة يفقد آدم الوعي حتى الليلة التالية ويستفيق على أشياء أكثر غموضًا ورهبة .

* * *

النوم شيء مُريح وخصوصًا إذا كان الشخص النائم مرهقًا مُنذ فترة كبيرة، إن عُمر من الأشخاص الذين إذا ناموا كانوا كالحجر لا يتحرك

ولا يتقلب، هُوَ الآن نائم على جانبه الأيمن يبدو كالحجر في تصلبه ولكن فجأة دون سابق إنذار ارتعش رعشة كبيرة ثُم تلتها رعشات أخرى أقل، وهذا ما يدل على أنه داخل حلم .

إذن دعنا نقترب أكثر من تفاصيل المشهد الذي يراه عُمر .

يقف أمام سرح كبير مُفعمًا بالكلاب والقطط السوداء، يقف أمامهم دون أن يشعُر به أي منهم وكأنه غير موجود لكنه مرعوب ومذهول، ثم يرى نارًا تشتعل في المكان فنظر حوله ليجد نفسه واقفًا أمام عرش كبير والماء يُحيط به من جميع الجهات، ولم تُمُر ثواني إلا وكانت النيران تأججت حول هذا العرش، ثم سمع فجأة صوتًا من حوله يعلو بشدة وغضب: "((يا من تسمعون في وادي الملوك والقرنيم بحق أسيادكم فكوا قيود الحرب، فكوا قيود الحرب، وصيل، مشموه شرطيائيل مخلبى، يا من تحكموننا، حرروا ملوك جنود السماعل، بحق ذاعات سيدكم وسيدنا)).

المُشكلة أن عُمر عرف أنه يحلم وحاول الاستيقاظ أكثر من مرة ولكنه مُقيد في مكانه، صار عقله يُفكر، أين سمع هذه الكلمات أو ما

شابه من قبل، فبدا له أن هذه الكلمات هي التي سمعها في تلك الليلة المشؤومة التي أدت بحياتهِ إلى هذا المُنعطف الذي يعيشه الآن !

ما زال الحلم مُستمرًا، وكأنه يُشاهد فيلمًا سينيمائيًا على التلفاز في سهرة الخميس، ورأى في الحلم ثلاثة رجال يركدون تجاه العرش، ظل يتابعهم ببصره حتى شاهدهم وهم يقفون أمام الكرسي، وحينما وقف الثلاثة بدأ العرق الكثيف يظهر على أجسادهم ثم يصعد فجأة دخان من الأرض التي يقفون عليها، وفي لحظة ازدادت كثافة الدخان فأحس عُمر بضيق شديد في التنفس بسبب الحرارة التي اجتاحت الجو والدُخان الذي لا يعرف مصدره، لقد قرأ قديمًا أن الإنسان إذا مات داخل الحلم يموت في الواقع وهو ما يحدث الآن .

استيقظ أخيرًا بعد أن شَعر أنه سيودع الحياة، نظر طويلًا إلى سقف الغُرفة وهو يمسك برأسه ويحاول أن يُهدئ نفسه وبعد لحظات هدأت دقات قلبه وأخذ نفسًا عميقًا مُندهشًا مما رآهُ قبل قليل، لم يحلم من قبل بهذا النوع من الأحلام أو بمعنى أكثر دقة هو لم يأته مثل هذه الكوابيس

مُطلقًا، هُناك ثغرة في ذلك الحلم لا يفهمها لكنه يتذكر الكلمات التي سمعها جيدًا، هذه الكلمات التي سمعتها أذناه في اللحظة التي وجدَ فيها جُثة أبيه مُستلقاة على الأرض في سرداب طويل ملىء بالأموات، ولم يستطع حملها والخروج بها من ذلكَ المكان اللعين وحينها أصيب بالصرع وانقلبت حياتهِ رأسًا على عقب!

دعني أخبرك بأسرار تلك الحادثة لاحقًا حتى لا تغرق في التفاصيل أكثر من ذلك .

* * *

ما بعد معرفة الحقيقة يكون أكثر ألمًا مما قبلها!

في ليلة روتينية أشبه بفيلم سينيمائي قديم تعرف أحداثه ونهايته جلسَ سامح وحيدًا مُنعزلا كما هي العادة في أغلب أيام الأسبوع، المدينة لم تَكُن ذات طابع عنيف ولا تحدث فيها مشاكل أو أزمات تَستدعي تدخل رجال المباحث إلا قليلًا، فـأحبَّ سامح هذه الأجواء بالرغم من أنه لم يعتد إلا على التعامل مع السارقين والمُجرمين والنزول إلى الشوارع في كُل ليلة كما كان دائمًا في مكانه القديم، جلس في مقعده المُخصص

وطلب الشيشة التي يُحبها وبدأ في الشرود مع نظراتهِ إلى البحر لكنه في هذه المرة التفت برأسه يمينًا ويسارًا، لا يعلم لماذا يبحث عن ذلك الرجل المدعو "رؤوف"، شيء بداخله يدفعه للجلوس مع رؤوف والحديث معه فـتوقف مؤقتًا عن البحث حتى جاءه الشاب المسؤول عن أمور الشيشة فسأله سامح: "بقولك إيه، هو أستاذ رؤوف مش موجود النهاردة؟ ".

صُدم الشاب الصغير من هذا السؤال وكأن صاعِقة نزلت عليه: "أستاذ رؤوف مين يا سامح باشا؟".

ـ رؤوف صاحب المكان .

تعجب أكثر وأكثر فقرر الهروب من هذا السؤال: "ثواني يا أفندم، هجيب لحضرتك مدير المكان تسأله ".

ذهب الفتى إلى الرجل المسؤول عن إدارة المكان وهو في ذهول غريب وطلب من المدير أن يذهب لسامح دون أن يُخبره عن السبب،

فذهب المدير إلى الطاولة التي يجلس عليها سامح: "سامح باشا.. بلغوني إنك عايزني، خير يا أفندم، في حاجة؟ ".

نظر له سامح بابتسامة ترحيب قائلًا: "متحرمش منك، أنا بس كنت بسأل عن أستاذ رؤوف صاحب المكان، هو مش هنا النهاردة؟ ".

تسمر الرجل في مكانهِ ناظرًا لسامح بتعجب واندهاش: "حضرتك تقصد أستاذ رؤوف الشعلاني؟".

ـ أيوه !

لا يعرف هذا المدير كيف يجيب على سامح ويُخبره أن الرجل الذي يسأل عليه لا يأتي إلى هُنا مُنذ أكثر من عامٍ.

ـ أستاذ رؤوف الشعلاني مُتوفي من سنة ونصف في حادثة عربية .

ثُم رحل سريعًا حتى لا يُسأل مرة أخرى، وظل يُفكر ويُفكر ما هذا الغرض من السؤال الذي سأله سامح وكيف لضابط مباحث أن يسأل عن شخص مُتوفي منذ أكثر من عام!

شَعر أن هُناك شيئًا ما غير مَفهوم لكنه دائمًا ما يبتعد عن كافة الأمور التي قد تُسبب له ضرر حتى ولو أن ليس هُناك ضرر فـالحرص في كافة الأمور لابد منه .

* * *

هل هذا صحيح !

كيف؟

يا للصدمة!

ما الذي حدث؟

أفكار وأفكار تتناوب في عقل سامح، لا يتكلم إطلاقًا بل كل شيء بداخله يتكلم ويَستفسر عن ذلكَ الشيء غيرِ المَفهوم!

لقد تحدث معه أكثر من مرة ورآه كثيرًا فكيف أن يكون توفى قبل عام ونِصف!

هل أصبح يتحدث مع الأموات!

رحل سامح سريعًا إلى منزله وخيوط أفكاره تشابكت إلى الحد القاتل حتى كاد أن يُجِنْ، بالفعل إنه أمر مُثير للجنون!

ماذا يفعل الآن؟

هل يبحث عن إيجاد تفسير لما حدث أم يُفتش في خبايا القضية التي أرهقت ذِهنه مُنذ فترة كبيرة!

بدأت ذاته تصور له أمورًا ليس لسامح صلة بها ولم يَكُن يعرف أنه سيُصبح ذلك الشخص في يوم ما !

* * *

يا إلـَهي!!!

لماذا حدث ذلك؟!!!

لا أُصدِقُ ما أراه، إنها جُثة أبي بالفعل، ما هذا المكان الغريب؟

وكيف أتت جُثة والدي إلى هُنا؟!

إذن فـمن الذي دفتنه مُنذ أيام!

أي قشعريرة هذه التي استحوذت على جسدي الآن!

هُناك علامات لإصابات في عُنقه وفي صدره وآثار دماء تملأ جسده!

لا بالطبع، أنا لستُ داخل حلم مُروع أعيش تفاصيله المُفزعة، أنا الآن في حضرة جُثة أبي التي مُن المُفترض والمؤكد أنني دَفنتها مُنذ أيام قليلة، من هذا الذي حملها إلى هُنا؟! ما حقيقة كُل ما أشهده الآن؟!

* * *

لا تبنِ سجنك بذاتك، وتطلُب من الآخرين حُريتّك، كُلنا أشباح وبقايا أرواح لم تعُد تملُك ضمائر، كُلنا سُجناء أنفسنا، حتى ذلك السجن الذي أعدتهُ لروحك سيأتي يوم ويطرُدك، سيأتي يوم تجد فيه ذاتك سرابًا وسيظل عقلك هو السجن الذي تتمنى أن تهرب منه إلى السراب!

* * *

الأجواء هُنا أشبه بالسِجن، ولكن سِجن للأموات وليس للأحياء المُعاقبين، الأموات في هذا المكان سُجناء وقابلين دائمًا للزيادة، آثار الدماء تملأ جنبات المكان، آثار القتل في كل زاوية عندما تدخل هذا الجحيم الملعون تشَعُر وكأن لا يوجد عالم بالخارج وكأنك تشهد النهاية !

بعد مُنتصف الليل تبدأ الأصوات تَهْمس وتتحدث بنبرة عالية، تتشابك وتتوقف معًا وتعود لتستمر، خيالات وأشياء تراها تتحرك

وذلك العجوز الذي يُدعى "يعقوب" جالس على كُرسيه يتحكم في كل ما حوله، لا تلاحظ أبدًا أنه يُغلق عينايه فهو دائمًا ينظر لكَ أو لأي شيء من حولهِ، يوم بعد الآخر جسدهُ يزداد تهالُكًا وعيناه تزداد بريقًا مُخيفًا، عندما يُحدق بك كأن شُعاعًا من الضوء سُلط عليك فجأةً، وفي غير ذلك أنت تعيش في ظلام دامس نهار وليل، هذا المكان لا يعرف الوقت، الزمن توقف هُنا وانتهت بك الرحلة التي لم تَكُن سعيدة كما تدعي!

ما هذه البرودة التي يَشْعُر بها الآن؟

إنَّ الطقس بارد بالفعل، يشعر بهواء يدخل بين ضلوعه ويُجبره على الارتعاش وشيئًا فشيئًا بدأ يرى يعقوب يتحرك من مكانهِ مُتجها إلى السرداب بالأسفل وما أكثر الجثث في هذا السرداب! الظلام كما هو يُغطي كُل شيء وآدم يبقى كما كان عليه مُنذ أن دخل هذا الجحيم، مسلوب الإرادة ومستسلم للأمور من حوله، إنه يرى مجموعة من الجُثث فجأة تظهر على يسارهِ ويمينهِ، لم يتبين في الظلام وجوه هؤلاء الجثث أو أبدانهم لكنه يعلم أنها جُثث لقتلة، وبدأ يعقوب في ترديد بعض الكلمات غير المفهومة وبغرابة شديدة جدًا جلس آدم بجوار

هؤلاء القتلة يستمع للرجل العجوز: "أقسم عليكم يا أهل وادي الوديان ألا تؤذونا ولا تُقربوا منه هذه الليلة، أعوذ بسيدنا وأعوذ به من غدر أهل الجان السفلي، يا من تحكُمنا نرجو منك الحماية في مبيت جنودنا هذه الليلة، أعوذ بالملك الأحمر وأعوذ بسيد وادى القرنيم، أعوذ بعزازيل الأكبر وبحق ملوك الأرض السبعة والملك العلوي وملوك العالم السُفلي."

توقف يعقوب أخيرًا عن هذا الحديث وبدأ في حديث آخر وفي هذه المرة موجه لـ آدم عُمران، اقترب العجوز من آدم ونظر له نظرة عميقة واسعة المدى ليطلب منه الوقوف فاستغرب آدم حينها من استمرار جلوسه بجوار الجُثث، كأنه في حلم لا يستطيع إنهائه، قام سريعًا ودقات قلبه ما زالت ترتجف وتتسارع وما هي إلا لحظات وقد جلس يعقوب يَقُص شريط الحديث لآدم: "عُمران والدك كان أقوى الجنود في الحرب وأكثرهم حكمة ودهاء، زادت قوته أكثر بعدما زاد الخدم حوله، كان دائمًا خارج دائرة الضوء، محدش يعرف قوته غير اللي معاه في الحرب على مدار السنين اللي فاتت، أنا عارف إن جواك أسئلة كتيرة عايزها إجابات

بس قبل ما أقول لك الإجابات، لازم تفهم إن الأسئلة عمرها ما بتخلص وإن الإجابة الواحدة بتفتح لك عشرات الأسئلة، بس قبل ما أجاوبك على أسئلتك لازم أنا أسألك في الأول، الدنيا فعلا قائمة على منهج العدل؟

- العدل إحنا اللي بنحققه .

قابله يعقوب بابتسامة غير مفهومة قائلًا: "اسمك آدم على اسم أبوك الكبير، بادئ هذه الخليقة، آدم عصى ربه بعد ما أكل من الشجرة اللي حُرمت عليه فبعثه ربك إلى الأرض مُقررًا ألا يعيش في الجنة بعد عصيان الأمر إلا أنه سيعود إليها في الآخرة .

إبليس من قبله عصى ربه عندما امتنع عن السجود لآدم فطرده ربك من السموات وخسف به إلى الأرض ولم يُرجعه مرة أخرى حتى بعدما عصاه آدم هو الآخر!

إذن آدم وإبليس هما الاثنان عصيا رب السماء .

سؤالي ليك بقى: ليه إبليس نزل الأرض مطرود ومغضوب عليه حتى النهاية وآدم نزل عشان يعمر الكون ويبدأ في نسل البشر مع إن الفعل مُشابه جدًا؟ ".

رُبما لم يعش آدم تلك الربكة التي يعيشها الآن!

لم يأت له سؤال مثل هذا من قبل وهو بداخله لا يتقبل فكرة عدم تكوين إجابة تُرضيه هو قبل أن تُقنع يعقوب، هل اقتنع بما يُريد أن يُقنعه به العجوز؟ !

- معنديش إجابة مقنعة !

- أبوك نفسه معتقدش إنه عنده إجابة !

- أنا من حقي دلوقتي أقرر تأجيل إجاباتي على كل الأسئلة اللي جواك وأقولك بس إنك مُضطر تكمل معانا طريق بدأوه ناس كتير قبلك وجه دورك دلوقتي، أنت هتقتل، هتقتل بني آدمين ومش بني آدمين، القتل حرام عندكم؟

لم يعُد يشعُر بشيء كأن شخصًا آخر بداخله هو من يتحدث: "أيوه حرام."

- القتل عندنا مش حرام لو كان اللي هتقتله ده ميستحقش يعيش، لو حشرة أذتك هتقتلها فبنفس المبدأ بردو لو إنسان أذاك هتقتله، في النهاية أنت بتقتل روح فمش هتفرق بقى الروح دي مُتجسدة في مين، المهم يكون عندك أسباب .

قُل يا أهل الملوك السبع، إني قدم إليكم فاستعدوا واحضروا الأحجار الحمراء بحق الملك الأحمر وبحق سمسائيل وبحق الوالي عزازيل.

* * *

الساعة الآن قد قاربت على الثامنة مساءً وسامح ما زال يجلس أمام مكتبه وبجانبه فنجان من القهوة، يُفكر بعمق في الأحداث التي حدثت له مُنذ أن جاء إلى هذه المدينة، أغمض عينيه قليلًا وهو يرى نفسه في صغره عندما أراد أن يقتحم عالم الجن والغيبيات وما وراء الطبيعة كما

يقولون، كان يملك ذاكرة تختزن كل ما تمر عليه عيناه عن تلك الموضوعات بسهولة فكان يكفيه أن يقرأ أي كتاب ليحتفظ في عقله بأجزاء كثيرة جدًا من الكتاب كأنها منسوخة في ذهنه، ما زال يتذكر الكتب الأجنبية المترجمة التي قرأها في شبابه، استمرت تلك الذكريات في عقله وهو ما زال يجلس أمام مكتبه حتى سمع صوتًا بالخارج يبدو أنه وائل قادم إليه بعد ثوانٍ وبالفعل لم تمر إلا ثوانٍ وقد دخل وائل وجلس أمامه ليُخبره بشيء كان ينتظره ويَخشى منه سامح: "سامح بيه.. أنا عندي خبر مش حلو وحبيت آجي أبلغك بنفسي ."

أذن له سامح أن يُكمل: "في أوامر جت إن القضية تتقفل وتتأيد ضد مجهول لحين إشعار آخر وفي استياء من إصرارك على الاستمرار في القضية دي بالرغم إن مفيش ولا بلاغ اتقدم ولا حد من أهالي الضحايا ظهر لحد دلوقتي."

ـ أنا مش هسيب القضية دي يا وائل حتى لو مش هشتغل غير عليها في أيامي الجاية كلها .

ظهرت على وائل ملامح الحُزن قبل أن يقول: "صدر قرار بمنحك إجازة مفتوحة عشان تريح أعصابك."

ـ أريح أعصابي !!!!!

ـ باشا.. من الآخر كده لازم تبعد فترة وبعد كده تقدر ترجع في أي وقت.

ـ كده أنا فهمت .

ثم أخذ محتوياته الشخصية ورحل دون أي ردة فِعل !

* * *

نظرا لبعضِهما بخوف، يشعران سويًا بالضعف وقلة الحيلة، أحدهما أصابه ارتجاف شديد، كيف لهما أن يتقبلا ذلكَ دون الدخول في نوبات من الجنون، إنهما بصدد أسطورة من أساطير الزمن التي لا تُصدق، كيف لا تصدق الآن وأحدها عاصر بعضًا من أحداثها والآخر قرأها !

* * *

لم تهدأ أسئلته ولم تتوقف أفكاره، لم يَجْد غير الهروب سبيلًا للابتعاد عن كُل هذه الأمور الغريبة، نزيف من الأفكار يجتاح عقله ويسبب له صداعًا قويًا، قام أخيرًا من الفراش بعد مُدة ليست قليلة وعلى الفور شعر أن قدميه لا تستطيع أن تحمله ساكنًا، ازداد الصُداع أكثر وشَعر بقبضات قوية تضغط على عروق جسده، أعراض لم تأته من قبل ولم تمر ثواني وكان ساقِطًا على الأرض!

* * *

ما زال الفضول يُحركه كقطعة شطرنج يتحكم فيها صاحبها كيفما يشاء، فكثيرًا ما اعتاد على قضاء بعض أيام الإجازات وحيدًا بمفردهِ دون مجموعة الأصدقاء المُقربة له، هذه المرة ابتعد بالمسافة فذهب بعيدًا أكثر من المرات السابقة وكان الشتاء قد طرق الأبواب وصارت الأجواء هادئة وهو يُحب الهدوء والبحر والكتابة وبعض الأشياء الأخرى، اصطحب معه جهاز "اللاب توب" الصغير وشد الرحال، في الحقيقة هو اصطحب ما بداخل الجهاز فكان ذلك الأهم في الأمر بالنسبه له، وبمجرد أن استلم غُرفته في أحد الفنادق الفاخرة المطلة على البحر، فتح

على الفور جهاز الكمبيوتر وبالتحديد ذلك الموضوع الذي قرأه مُنذ أيام قليلة بعنوان "الحرب الملعونة"، وما أثار اندهاشه وشتت أفكاره واقترب به من الجنون أنه وجد بعض العبارات الجديدة في الموضوع، كلمات غير مفهومة وعبارات لا تؤدي لمعنى مُباشر كأنها ألغاز عليه أن يجد حلولًا لها، هُناك بعض التحديثات أُضيفت إلى الموضوع .

رُبما هو الآن قريب من أحد الأماكن التي شهدت الحرب !

* * *

- لماذا لم تسأل ذاتك من قبل، مَن الذي قتل والدك؟ أتظن أن الوفاة لم تَكُنْ بفعل فاعِل!

أعلم أنك مصدوم من كلماتي ولكن دعني أكمل لك الصدمة وأخبرك أن "عمران" مات مَقتولًا بالطريقة التي كان يَقْتُل بها وبالطريقة التي سَتقتل أنت بها فيما بعد، ودعني أُخبرك أيضًا أن القاتل هُوَ "جلال"، الصديق المُقرب لوالدك مُنذ أن جاء إلى الحياة!

قتلهُ لكي يعيش هُو ولا أُخفي عليك أن هذه الحادثة كانت بتنسيق وترتيب شخصي فأنا كُنت المُحرك الذي دفع جلال لارتكاب هذه

الجريمة لكنه هو من نفذ وقتل صديق عمره وحتى أكون مُحايدًا ومُنصفًا فقد اخترت جلال أن يكون ضحيتك الأولى حتى تنتقم لوالِدك من الذي قتله غدرًا .

موجات غضب ممزوجة بشعور من الصدمة والحُزن معًا تتصاعد داخل "آدم ."

- مهلًا لا تتعجل، القتل هُنا له طُرق ولكي تُنجز مهمتك معنا وترحل بعدها إذا شئتْ فعليك اتباع الخطوات الآتية..

أولًا: ستتم عملية الوفاة عن طريق مادة كالسم ستضعها في الطعام أو الشراب للضحية وهذه الطريقة ستستخدمها مع جلال وبعدها ستنتهي حياته وسيُدفن بواسطة أهله في المقابر ومن ثمَ ستذهب بدورك وتحمله إلى هُنا مُعززًا مُكرمًا، وهُناك طريقة أخرى وهي القتل بأي وسيلة ماعدا الرصاص وفي هذه الحالة ستأتي أنت بالقتيل فورًا .

ثانيًا: بعد أن تأتي بالضحية إلى هُنا، عليك أن تُصيب جسده بأي آلة حادة حتى ينزف الدماء .

ثالثًا: ستنحت اسمك على جسده قبل أن تضعه بنفسك داخل هذا السرداب أسفل قدميك .

وتذكر أن.. القتل مُباح طالما هُناك أسباب !

* * *

الثانية بعد مُنتصف الليل، قليل من العتمة تُسيطر على الأجواء، ما زال محل الكحوليات فاتحًا أبوابه أملًا في استقبال بعض الزبائن قبل أذان الفجر فبمجرد أن يستمع البائع الجالس داخل المحل إلى أذان الفجر، يُغلق الأبواب ويذهب لأداء فريضة الصلاة!

جاءه سالم في هذا الوقت ليس للشراء بل للاستفسار عن عنوان ما لأنه مرَّ بجوار المحَل وأراد أن يسأل عن العنوان الذي يبحث عنه منذ دقائق فأشار له البائع بالترحاب وظن أنه المُشتري الأخير لكنه أساء ظنه !

ـ لو سمحت، عايز أعرف العنوان ده فين؟

سالم يحمل ورقة صغيرة مطبوع بها عنوان مُفصل لإحدى الأماكن، لا يعرف سالم لماذا ظهرت على الرجل علامات الاندهاش بعد أن قرأ الورقة!

نظر له البائع نظرة استغراب شديدة وسأله: "حضرتك معاك عربية ولا هتمشي؟ ".

ـ لأ همشي، هو المكان بعيد؟

ـ لأ مش بعيد، بس الوقت متأخر، منصحكش تروح دلوقتي .

ـ ليه؟

ـ في حادثة كبيرة حصلت من فترة بسيطة في العنوان اللي أنت رايح له ده، وجودك دلوقتي هناك غريب وخطر عليك .

ثُم أكمل بدهشة: "هو حضرتك مين؟ ".

لم يعط سالم اهتمامًا لسؤال الرجل قائلًا: "اوصف لي أمشي إزاي لو سمحت؟ ".

أخذ الرجل نفسًا عميقًا مُندهشًا من إصرار سالم على الوصول إلى هذا المكان في هذه الساعة المتأخرة وأجابه أخيرًا: "آخر الشارع ده يمين هتعدي الجسر وهتبقى هناك."

ـ شكرًا .

* * *

أُصيب عُمر بالصرع بعد أن قرأ اسم (آدم عُمران) مَنحوتًا على جسد أبيه، ثُم استطاع أخيرًا أن يَخرج من هذا المكان الملعون، خرج ولم يعد!

لم يعد إنسانًا !

بالمناسبة، عُمر جلال هو الصديق المُقرب والرفيق الدائم لآدم عُمران .

* * *

المرة الأولى من كل شيء ليست دائمًا هي الأفضل أو الأمتع فهُناك مرات أولى تبقى قاسية ومُميتة بدرجة كبيرة تزرع بداخلك أشياء لم تتوقع لحظة أن تَسكُن بك !

تلكَ المرة الأولى التي أقتل فيها، لا أعرف من أين جِئتْ بهذه القسوة والعُنف، لقد تجردت من كل معاني الإنسانية فجأة، وتمكن الشر من الوصول إلى قلبي، وأحيانًا بل أحيان كثيرة جدًا الانتقام يجعل مِنك شخصًا آخر لم تعرفه من قبل، شخص أكثر بشاعة من الواقع المُحيط بهِ، أكثر حدة من الفعل الذي كان بسببه أسوأ رد فعل .

نعَمْ أنا قتلت صديق والدي، قتلته ثُم حملت جُثته من المقابر إلى مُقابري الخاصة، ألم يرددون في السابق أن من قتل يُقتل ولو بعد حين، فقد أتى ذلكَ الحين وما كُنت إلا وسيلة، وسيلة للانتقام ورُبما لأغراض أخرى، لم أفسر وقتها شعور اللذة الغريب الذي تسلل إلى أعماق روحي، بالطبع لم أتلذذ لأنني قتلت وجائز أن يكون ذلكَ الشعور نابعًا من غريزة الانتقام التي رسخت بداخلي رويدًا رويدًا حتى تِلك الكلمات صِرتُ أرددها، أنا الآن أصبحت من جنودهِم الأكفاء !

يا أهل وادي الملوك، يا عزازيل، إني مُقيم في مملكتكم فكُن لي واليًا حاميًا، أعوذ بالملك الأحمر، وأعوذ بسمسائيل، وأعوذ بسيد وادي العداة

وسيد وادي القرنيم، ارجعوا يا جنود المارد الأحمر، أنا خادمكم المُطيع فنحن رواد العالم السفلي، يا مخلاب الجان السفلي، قوم سامر الأزدي عودوا إلى مخالبكم وسيروا في طُرقات قبائلنا.

* * *

لا يُصدق ما يحدُث إطلاقًا، إنه أمام قصة حقيقية حدثت بالفعل ولا يعرف في أي زمن حدثت! لكن جميع البراهين والأدلة تُشير إلى أنه بصدد كتابة موضوع مثير للجدل ومُختلف عن كل المواضيع التي كتبها من قبل، كثرة الربكة والحيرة جعلته لا يفهم حقيقة بعض الأمور، أبرزها هوية هذا المكان الذي يقف أمامه !

رُبما ذلكَ المكان قد شهد حريقًا هائلًا لم تمح آثارهِ بعد، شعر فجأة أنه وسط ظلام دامس عندما اقترب أكثر من الرؤية فأمسك بجهاز هاتفه ليُضيئ عدسة الفلاش حتى تتضح الصورة وبعدها نظر للخلف لم يجد شيئًا!

لم ير إلا أرضًا صماء، أين ذهبت المباني والإنشاءات والناس!

شعر وكأنه يشهد النهاية!

توقف به الزمن في لحظة عابرة، ظل يركض كالسارق الذي يهرب من الشرطة، نوبات من الفزع اجتاحت عقله، أين ذهب به فضوله هذه المرة؟ !

* * *

ـ "برافو يا آدم، أنت رائع زي ما توقعت بالظبط، قول لي إحساسك إيه دلوقتي بعد ما قتلت عدد كبير من أعدائنا؟"، قالها يعقوب بنبرة مليئة بالجنون، جنون ليس له تفسير، بالتأكيد هذا ليس من البشر !

ينظر آدم له بتمعن، أصبح لا يخشاه ولا يخشى أي شيء هُنا، كيف لآخذ الأرواح أن يخاف !

ـ حاسس إني عايز أقتلك!

ابتسم يعقوب ابتسامة خُبث وقال: "الموت بيخاف مني يا آدم، مش هتقدر ."

ثْم قام من مَقعده مُتجها ناحية آدم واضعًا يده على كتف آدم: "بما إن دورك انتهى وتقدر دلوقتي تقرر إذا كنت هتكمل معانا ولا خلاص هتكتفي باللي أنت عملته فأنا عايز أقولك حاجة مهمة جدًا جدًا محبتش إني أعرفك بيها غير لما تخلص مهمتك، اتفضل تعالى معايا ."

لم يُبد آدم أي تعجب فأصبح لا يهتم ولا يُبالي للأمور، وذهب خلف يعقوب ليرى ماذا هُناك وكانت الصدمة التي دبت في صدر آدم كأنها صاعقة نزلت من السماء عليه!

يا إلهي!!!!!

إنها جُثة والدة عُمران، مُستلقاة بجانب الجُثث الموجودة في ذلك السرداب اللعين.

ـ "لاا"، أطلقها آدم بصراخ شديد وأمسك بذراع يعقوب مُتوعدًا له بالانتقام، ثُم فجأة خرج من هذا المكان إلى حيثُ ما لا يعرف!

❁ ❁ ❁

هُناك أشياء تَجدها عِندما تتوقف عن البحث!

أيام تَمْضي وأوقات تَمُر، يبقى الحال كما هو عليه، لا جديد يُذكر، تفاصيل باهتة وحياة مُملة.

استيقظ سامح في الثامنة ليلًا فقد اعتاد على الإطالة في النوم مُنذ أن توقف عن العمل ورُبما كان سيستمر في النوم لولا جرس الباب الذي لم يتوقف فأجبره على القيام ليعرف من بالخارج وماذا يُريد، قام سامح وفتح الباب ليجدَ رجُلًا هيئته مُرتبة وملابسه مُنسقة يقول له: "السلام عليكم"، بابتسامة عريضة، فرحب به وسأله سريعًا: "أيوه، حضرتك عايز إيه؟ ".

ـ عايز أتكلم معاك في موضوع، لو سمحت خلينا نقعد شوية وبتأسفلك على الإزعاج .

أذنَ له سامح بالدخول وقدّم له كوبًا من الشاي، ثُم جلس ليستمع له ويعرف ماذا يُريد منه .

* * *

إذا تعددت الأسباب ولم تتغير النتيجة، فـافعل ما تريد !

احتاج آدم لأيام قليلة يُلقي فيها ثوب الشر الذي ارتداه ليرتدي ثوبًا آخر اسمه الانتقام، الوقت هو الشاهد الوحيد على سلسلة التغيرات التي تحدث لك، كثيرًا ما رأيت الناس من حولك تتغير وتتبدل إلى أن أدركت مؤخرًا أنك أنت من يتغير وليس أحد، نظرتك وشعورك وأفكارك يصورون لك أشياء لم ترها من قبل !

شعر أنه يستطيع أن يفعل أي شيء وكُل الأمور مباحة ومتاحة بالنسبة له، عاد إلى منزله بعد غياب دام لأكثر من شهر، لم ير ما هُو مُخالف لما كان عليه، ارتدى ملابس جديدة وجلس على مقعده المُفضل،

طيف بسيط من الندم اجتاح قلبه وجعل ضميره يُؤنبه والسبب هو قـتل جلال صديق والده ووالد صديق عُمره!

ظَلَ يتساءل ويُناطح ذاته لدقائق، تساؤلات لم تعد لها قيمة، هو يعرف ذلك لكنه لا يستطيع أن يمنع نفسه، صُداع وألم من كل الأشياء التي تشابكت في رأسه.

كيف لي أن أقتله؟! ماذا فعلت؟

أي حالة التي بها عُمر الآن؟

هل أنا مُخطئ أم جلال الذي خان أبي وقتله لكي يعيش هُوَ؟

لو أن أبي هو الذي محله هل سيقتله؟

إرهاق ذهني شديد وحيرة كبيرة توقفت للحظات لأنه قرر أن ينتقم وقد حان الوقت لإنهاء كُل شيء، انتظر حتى أتت الساعة الثانية ليلًا واتجه إلى ذلك المكان الملعون، دخل سريعًا من الباب لأنه بالفعل أصبح

من سُلالتهم ويستطيع أن يفعل ما يفعلوه، فمن قبل كان لا يتمكن من الدخول إلا بعد أن يأذن له يعقوب، دخل آدم ليبحث عنه، هو يعرف أنه لا يظهر كثيرًا باستمرار، هو يعرف أنه غير كل البشر، بدأ آدم في النداء بصوتٍ عالٍ للغاية: "يعقووووب!! .. يعقوووووووب.."!!

كالمجنون يصرخ ويسير بخطوات سريعة في كل النواحي ولم يجده حتى الآن، وقف ليأخذ أنفاسًا عميقة وفجأة خطرت فكرة بعقله تبدو غريبة لكنه نفذها على الفور.

آدم ينزل الآن إلى سرداب الموتى، يبحث ويُفتش، ممرات وطُرقات ضيقة رُبما لو نزلت مرة لن تعود كما كُنت، وقد لا تعود من الأساس، أصوات خافتة يسمعها، أصوات قد اعتاد عليها، كلمات لم تعد غريبة لأذنيه، لكنها تزداد مع مرور الثواني، بدأ يكشف عن وجوه الموتى الذين حوله في كُل زاوية، واحد تلو الآخر والآخر، وفجأة توقف!!!!!

هذا الوجه الذي ينظر له هو وجه يعقوب، نعم.. هي الملامح والتجاعيد والعيون اللامعتان،

أمسك به بشراسة جنونية وبدأ في صراخ وعويل شديد حتى جلس على الأرض بجواره يسأل ذاته عن الحقيقة، متى تُوفي ذلك الرجل؟!!

هل كان متوفيًا منذ زمن وما كُنت أراه ليس صحيحًا؟!!!

لماذا الآن؟!

استفاق سريعًا ونهض إلى الأعلى تاركًا هذا السرداب لهؤلاء الموتى والقتلة المُشوهون، لم يتراجع عما جاء من أجله بل أيقن أن الظروف الآن أكثر تهيؤًا لاستقبال ما يُخطط له .

لم يستغرق سوى دقائق ليُشعل النيران في المكان بالكامل، وذهب سريعًا تاركًا خلفه حريقًا بشعًا يليق بذلك الجحيم !

* * *

عاد من جديد ليُكمل ما بدأه ويقرأ السطور الجديدة، كلمات زادت ومعلومات أُضيفت، إنه بالفعل أمام موضوع مُختلف عن كل المواضيع التي أثارت فضوله من قبل، يُلاحظ أن هُناكَ أحدًا يُخاطبه شخصيًا،

يوجه له هذه المعلومات ويجعله يقترب من الوصول إلى الحقيقة، أي حقيقة؟ لا يعلم!

لاحظ هذه المرة وجود أسماء لأشخاص يبدو أنهم مُشاركين في هذه الحرب التي يقرأ قصتها، تفاجأ أن بعضهم ما زال على قيد الحياة! كيف ومن المفترض أن هذه القصة حدثت في الماضي؟!!

هو يظن حتى الآن أنها حدثت في الماضي البعيد.

بدأ في جمع المعلومات لكى يصل للشخص الذي يسكن في نفس المدينة التي يقيم بها سالم، هُناك أشخاص آخرون لكن غير معروف أماكنهم! لا يعرف إن كان صُدفة أم لا وجود رجل من شخصيات القصة التي يقرأها هُنا بالفعل، انتهت السطور بهذه العبارات: (ابحث عن سامح منصور، إنه يبعُد خطوات قليلة عَنْك.. ابحث عنهم جميعًا) .

جاءتْ في ساعة متأخرة بعد أن قضت بعض الأغراض الخاصة بها وبالمنزل، ثمة أمور تنقصها وبعض الأشياء لم تَكُنْ موجود في مطبخ البيت، اشترت جميع ما تحتاجهُ وما يكفيها لأيام طويلة، وصلت إلى باب الشقة وهي تحمل في يديها حقائب ليست قليلة، بدأت في النداء على عُمر لكي يُساعدها في حمل هذه الأغراض .

ـ عمر.. يا عمر، أنا جيت يا حبيبي، أنت فين؟

لا أحد يرد!!

تركت ما تحمله في يديها وذهبت تبحث عنه، إنه غير موجود بالمنزل، إذن فأين ذهب في هذه الساعة وهو في الأساس لا ينزل من البيت كثيرًا!

أمسكت بهاتفها تحاول الاتصال به لكنها وجدت هاتفه على المنضدة التي بجوار الفراش، بدأ القلق يتسلل بداخلها وهي سريعًا ما تشعر بالقلق والتوتر خاصة إذا كان الأمر يتعلق بـعمر .

جلست قليلًا لكي ترتاح، لكنها سُرعان ما قامت وذهبت إلى الشُرفة التي يحب عمر أن يجلس فيها وينظر إلى البحر، وجدت ورقة صغيرة على إحدى المقاعد، أخذتها وبدأت تقرأ ما فيها من كلمات .

(قبل أي حاجة.. عايزك تسامحيني، سامحيني على إنك عشتِ معايا كل الوقت ده وأنتِ مش مراتي، وسامحيني على إني معرفتش أمنحك أي حق من حقوقك، سامحيني إنك قضيتي معايا الفترة الطويلة دي من غير أي مسميات، حظنا وحش إننا اتقابلنا في الوقت ده، معرفش إذا كان حظ ولا عقاب، يمكن لو كنا اتقابلنا في ظروف تانية كانت حاجات كتير هتتغير، كنت أنا هتغير معاكِ ومع نفسي، الألم هزمني فقررت

أودعه وأودع كل لحظة حلوة معاكِ عوضتني عن مساوئ حياتي، قررت أودعك يا رانيا!

المرة دي هحكي لكِ وهتعرفي كل اللي كان نفسك تعرفيه، هتلاقي إجابات لأسئلة كتير في دماغك، مُذكراتي في درج المكتب وأنا سبته مفتوح، معرفتش أقولك إني بحبك وأنا عايش، بس مش هقدر مقولهاش قبل ما أموت ـ بحبك يا رانيا ـ أنتِ أجمل بنت شوفتها في حياتي) .

* * *

في ساعة مُتأخرة من إحدى ليالي فصل الشتاء، جلس الاثنان يتبادلان نظرات الاندهاش والصدمة، لا أحد يقبل بالحقيقة حتى الواقع ذاته لا يتناسب مع كثير من الحقائق، فكيف أن يقبل هذه الحقيقة الغريبة؟!

هُما الآن في حضرة الأمر الواقع الماثل أمامهما بتفاصيلهِ غيرِ المفهومة وليس لعقولهما قدرة للاستيعاب، إنهما بصدد ملحمة أسطورية لا تُصدق إطلاقًا، رُبما ما يحدث مُعجزة في زمن انتهت فيه المُعجزات، صمت

طويل لا يقطعه سوى صوت عقارب ساعة الحائط التي تُزيد من شعور التوتر وتُشعل وتيرة الحيرة أكثر فأكثر!

هل ما حدث كان سرابًا؟

وهمًا؟

كابوسًا؟

رحلة البحث عن إيجاد تفسير رحلة شاقة ومتعبة للغاية، كُل شيء أمامهما يُشير إلى مالا يُريدانِ تصديقه!

شعور بالفوضى ناتِج عن خيوط من العبث .

فتحَ سالم الجهاز الصغير وأعطاه لسامح ليقرأ ما لم يكن في الحُسبان، لم يكـُن يعرف أيضًا أن حل اللغز الكبير الذي سعى لتحقيقه سيفتح له أبوابًا أخرى قد لا تَنتهي!

* * *

يبدأ الضابط سامح رحلته الحافلة بالمخاطر في الكشف عن الجاني أو القاتل ويسعى للوصول إلى الحقيقة كما هي عادته في كل القضايا التي

يتناولها، لكنه لا يعلم أن هذه المرة ليس أمام قضية أو جريمة مُكتملة الأركان بل إنه داخل دائِرة مُحكمة، تسير في طريق طويل المدى بدأ مُنذ نشأة الخليقة واستمر مع توالي الأزمنة المُختلفة ومُمْتَد إلى ما لا نهاية.

يا من تقرأ هذه الكلمات نرجو أن تَكون قد تربعتْ ولو قليلًا على عرش المعرفة، وأدركت أن المعركة أبدية بيننا وبينهم وما تابعته خلال السطور السابقة ما هو إلا فصل من فصول الحرب الأزلية المُستمرة إلى يوم الحساب والدينونة كما سُمي في كتبكم.

للمعرفة ثَمَن وضريبة تصل أحيانًا إلى الموت، فلا تندهش عندما أُخبرك أن هذا السطر هو الأخير لك في هذه الدنيا .

(الحرب الملعونة)

❁ ❁ ❁

المراجع والمصادر

ـ كتاب البداية والنهاية لابن كثير.

ـ كتاب البلهان لعبد الحسن الأصفهاني.

ـ كتاب العُزيف.

للتواصل مع الكاتب

Shehab hashim Page

(سالم بيشرح قصة الحرب لسامح وسامح بيقرأ اسمه في القصة وبيلاقي إن كل الأحداث اللي حصلت مكتوبة في القصة وإن كل ده مجرد قصة كبيرة هو جزء من أحداثها).

النهاية.....